صاهرت جرحك

جاسم الصحيّح •

صاهـرت جرحك .. جرح العزة الأزلي ... منذ اسـتغاثة أمي في المخـاض: (علي) !
ومنـذ طفـت فمـي إسـماً أقبلـه ... مـا زال يسـبح ذاك الإسـم في القبـل
فليشـهد العشـق أني المسـتميت عـلى ... نهـجٍ ـ بنهجـك عـبر الجمـر ـ متصـل
ماانفـك هاجسـك العلـوي يجنـح بي ... في معـزلٍ عـن مصفـىً عـالمِ العسـلِ
فأسـتريح إلى الهـم الـذي عبقـت ... مـا بـين أعطافـه، قدسـيةَ الرّسـل
وأبعـث الغـارة الأولى التـي انطلقـت ... مـن لمـح عينيـك تطـوي ظلمـة الدَّجل
وأرصـد (الجمـل) الغـدار منحـدراً ... عـبر السـنين بقطعـانٍ مـن (الإبـلِ)
يرغـي فينفـث في الأجيـال شقشـقةً ... صفـراء تطفـح بالأحقـاد والعلـل
وأنـت مـن قمـة التاريـخ تقذفنـي ... سـهماً يشـق حنايـا ذلـك (الجمـل)
ثـق يـا (عـلي) بسـهم قـد رميـت بـه ... فـما رميـت بسـهم غـير مكتمـل

* * * * *

صهـرت روحـك في روحـي عـلى ولـه ... شـبت صبابتـه ثوريـة الشـعل
فاسـتفردت بي الرسـالات التي سكبت ... مـن مقلتيـك ـ هـموم الحـق ـ في مقـلي

في ذمة الورد ما أورثتني هدفاً ... آخيت فيه دروب الشوك والدغل
فكلما زل بي خطو صحوت على ... يمناك من شرفات الغيب تومئ لي
هي المواثيق فيما بيننا ، نشأت ... على الولاء الذي تلقاه من قبلي
فالخيل في حرفي الكرار ما برحت ... تهفوا إلى الشوط .. لا للمرتع الخضل
عهداً عليَّ أساقيه الهوان متى ... أجلتك باسمك العالي فلم تجل!

* * * * *

يا حافر الصخر .. لم تعثر مسيرته ... نحو الينابيع، في أسطورة الفشل
مازلت تبحث في الأعماق عن بللٍ ... تقفوه في رحلة الإيمان والعمل
حتى إذا انفطر الصوان عن خضلٍ ... ريان وارتشحت كفاك بالبلل
تهلع النبع مزهواً بمولده ... على يديك وفاضت بسمة الأمل
وصحت بالأرض والأرجاس تغمرها ... يا ارض: دونك فيض الطهر فاغتسلي
آهٍ لصيحتك الكبرى فقد وصلت ... إلى مسامع دنيانا، ولم تصل!
والنبع ذاك الذي فجرته عسلاً ... ها نحن نخنقه بالطين والوحل
حقيقة أنت غازلنا ملامحها ... بغير ما ترتضي من طاهر الغزل
(نهج البلاغة) لم يحطم بداخلنا ... جسر العلاقة بين الفكر والشلل
تبت خيوط الأساطير التي انعقدت ... عليك من نسجنا مقروحة الحلل
فأنت أكبر من سيف به انتفضت ... روح الشجاعة فوق الساعد العضلي
وأنت أكبر من أوهام عاطفةٍ ... جوفاء أسمنت العشاق بالخطل
فاقرأ ـ تباركت ـ إقرأ ما تيسر من ... وعيٍ على عالمٍ بالوهم معتقل

واربأ بدوحتك الميمون منبتها ... أن تغتدي دوحة مسمومةً الأُكل

* * * * *

يا غازلاً من نسيج العدل مدرعةً ... زرت عليك فلم تقصر ولم تطل
نسلت من صوفها للفتح ألويةً ... علوية الخفق ، جبريلية الظلل
ولحت في مسرح الدنيا تصوغ به ... من نطفة الصدق دور الفارس البطل
فتزرع الفرح النشوان في مهج ... منذورة للأسى .. كانت ولم تزل
مولاي ..دورك لم تسدل ستارته .. ... دور البطولة دور غير مختزل
باقٍ .. تعب الليالي من مشاهده ... كاس الإثارة .. لم يسفح على ملل
رويت منه الجماهير التي ظمئت ... للعدل .. للقادم المجهول من (زحل)
فاهتزت الأرض كل الأرض في حلمٍ ... يستنزف الفرق بين السهل والجبل
لهفي عليك .. فكم كف مطففةٍ ... صدتك أن تصلح الميزان من عطلِ
مولاي .. ما برحت تلك الأكفة كما ... كانت، تطرز وجه الذئب الحمل
خيط القميص عليها وهو منتحل ... وشق ألف قميص غير منتحل

* * * * *

وشاد منه أمير الشام سدته ... على رفات من الأخلاق والنبل
واستنفر الثأر يستجلي رجولته ... في موكب من هجين الخيل والخول
حتى إذا عجمته الحرب صارحها: ... تلك الرجولة لم تعقد على رجل
مولاي .. ذره وكرسياً ناسل من ... رحم الفناء، وليد المكر والحيل
هذا الخلود إليك اقتاد دولته ... في موكب الحق فاحكم أعظم الدول

ينابيع

مُحتَوياتُ العَدَد

كلمة العدد

تجربة.. ومسؤولية

المشرف العام ٨

قرآنيات

بلاغة الأسلوب التفسيري عند السيد السبزواري

د. مشكور كاظم العوادي ١٠

عصمة النبي موسى عليه السلام من منظور قرآني

د. سيروان عبد الزهرة الجنابي ٢٠

آمن الرسول

مصحف فاطمة عليها السلام.. شبهات وردود

محمد دعيبل ٣٠

واحة الأدب

قصيدة: مولد الإمام الحسن عليه السلام

د. مجيد عبد الحميد ناجي ٤٠

قصة قصيرة: الكذبة

زهرة النرجس ٤٢

إضاءات السيرة

أخبار الماضين بنظر أمير المؤمنين عليه السلام

الشيخ حسن كريم الربيعي ٤٦

بين عصر الإمام الحسن عليه السلام وعصر الغيبة الكبرى

علي الفحام ٥٠

للفضيلة نجومها

الشيخ علي القسام

جواد عبد الكاظم محسن ٥٨

ص١٠٦

ص ١٠

ص٨٢

ص٤٧

الشيخ محمد لائذ

الشيخ عقيل علي الزبيدي ٦٤

طروحات عامة

أثر النص المقدس في اتخاذ القرار المعماري/ ح٢

د. عبد الله سعدون المعموري

م. محاسن هادي خلف ٧٢

جريمة هدم القبور الطاهرة

الشيخ علي اليماني ٨٢

آليات النهوض والارتقاء بالعملية التربوية

م. م. فلاح رزاق جاسم ٨٨

فضاءات التفكر والتأمل في دعاء المعصوم

د. علي مجيد البديري ٩٤

مفهوم التعاون في الفكر الإسلامي

أ. م. نجم عبد الله الموسوي ١٠٠

قراءات

قراءة في كتاب "سياحة في الشرق"

د. حيدر نزار السيد سلمان ١٠٦

حكاية مستبصر.. السيد حسين الرجا ٢٦

آداب الطعام والشراب ٧٠

رسائل وخطب ١٠٤

أجوبة مسابقة العددين (٣٥ـ٣٦) وأسماء الفائزين ... ١١٢

مسابقة العدد (٣٨) ١١٣

ص ٣٠

ص ٧٠

ص ١٠٤

ص ٢٦

تجربة.. ومسؤولية

بسم الله الرحمن الرحيم

نستقبل في هذه الأيام الشهر الفضيل.. الشهر الذي دعينا فيه لضيافة الله تعالى.. الشهر الذي هو عند الله أفضل الشهور.. وساعاته أفضل الساعات.. ولياليه أفضل الليالي.. حسب ما جاء رواية عن النبي صلى الله عليه وآله في الخطبة التي خطبها قبل حلول شهر رمضان.

ونحن إذ نذكر إخواننا بهذا الشهر بالإنابة إلى الله تعالى والتوبة، والإخلاص في العمل والاجتهاد فيه والجدّ في تحصيل مرضات الله تعالى وغفرانه فإنّ من حرم غفران الله فيه فهو محروم كما أثر عن المعصومين عليهم السلام في مثل هذه الأيام العصيبة التي تمر على الأمة جراء التجاذبات السياسية وما يترتب عليها من ضعف الإدارة العامة وما يتسبب عن ذلك من سوء الخدمات وتردي الأوضاع على أمتنا التي قدمت الغالي والنفيس في سبيل حصولها على المستحقات التي فقدتها عبر العشرات بل المئات من السنين نذكر بأهمية بعض الأمور التي لابد من الوقوف عندها:

أولاً: أخذ العبرة والعظة من المخاض الذي نعيشه اليوم والذي يرجع الجزء الأكبر منه إلى اختيارنا وتشخيصنا للأصلح وقد ترتب على ذلك ما نراه اليوم من الفساد والتناحر والتمسك اللامسؤول بالمواقع الهامة لإدارة البلاد. مما قد يكشف عن مسار الوضع المستقبلي لأمتنا وسوء المنقلب الذي طالما كنا نخشى منه عبر هذه السنين التي يعبر عنها دائماً بسنين البناء.

فإن معرفة المسؤولية الملقاة على عواتقنا من أولى الضروريات لان كل ما يترتب نتيجة التهاون في تحديد هذه المسؤولية من الفساد والحيف الذي يقع على أمتنا ترجع مسؤوليته علينا ونحن المطالبون به أمام الله تعالى أولاً، وأمام المجتمع وتاريخنا ثانياً. والله من وراء القصد.

ثانياً: تمييز الشخصيات التي تدور عليهم رحى الحكم في عراقنا الحبيب، ومعرفة الصالح من الفاسد لإدارة البلاد التي عصفت عليها رياح الظلم والجور في سني المحنة، بل حتى في هذه السنين حيث لم تسلم أمتنا من القتل والتشريد والتنكيل إلى هذا اليوم.

ولا ينبغي لنا التهاون في هذا الأمر وغض الطرف عنه وتحميل البعض مسؤولية الآخرين، وخلط الأوراق، بل تحميل الكل مسؤولية البعض، أو عدم تحميل المخطئ مسؤولية خطئه لقيامه ببعض الإنجازات التي قد لا تناسب الأخطاء الجسيمة التي وقعت جراء قناعته بما يقدمه.

ثالثاً: أن لا تكون هذه المعاناة التي نعيشها اليوم سبباً للانهيار واليأس وترك الواجب الملقى على عواتقنا، فإن الخطأ يمكن إصلاحه، والإخفاق يمكن تداركه، وإن كان بعد مخضٍ ومخضٍ، بل لابد من التماسك والصبر ورصّ الصفوف والتكاتف والتآزر ضد المحن التي نعيشها كل يوم، بل العمل الجاد بالمطالبة بالحقوق الضائعة، وربما يكون الفرج على الأبواب وخلف الجدر.

كما أنه ينبغي لنا معرفة المكاسب التي جبيناها مع كل ذلك، وما امتازت به أمتنا عن سائر الأمم فإن عيوبنا موجودة بعينها أو مثلها في جميع الأمم، ولكن محاسننا مختصة بنا، ولا توجد في باقي الأمم، من الإصرار على الثوابت الدينية والاهتمام بالشعائر والبقاء على المثل والأخلاق الإسلامية الأصلية، ومعرفة هذه المكاسب تدعو إلى شكر الله تعالى وبالشكر تدوم النعم.

ولعل الله سبحانه ينظر إلينا والى إخواننا المؤمنين بنظر العطف والرحمة ويغفر لنا جميعا في شهرنا هذا ويسجلنا ضمن المقبولين والمنظورين بفاضل نعمه، إنه أرحم الراحمين وولي المؤمنين وهو حسبنا ونعم الوكيل ■

المشرف العام

بلاغة الأسلوب التفسيري عند السيد السبزواري

د. مشكور كاظم العوادي •
عميد كلية الشيخ الطوسي الجامعة

السبزواري وآلياته البيانية

لمّا كانت اللغة هي واجهة حضارة كل أمّة، فكيف بها إذا كانت حضارة القرآن، وهو خاتم الكتب والمهيمن عليها، فضلا عن أنّ العربية ليست لغة قوم محدد، بل هي (لغة أمميّة)، وهنا يخطيء من يقول إنّها لغة العرب، لأنها أعدّت منذ الأزل وهيّأت لتكون لغة الكتاب، لذا كانت حصرا لغة أهل الجنة..

وهنا يورد الدكتور محمد محمد أبو موسى ما ذكره ابن جني: (أنّه كلما أمعن في دقائق العربية وما تنطوي عليه من حكمة ودقة ورهافة في سياسة المعاني وحيازتها وتدسسها في غوامض القلوب والنفوس وملامستها لأوابد الخواطر، وشوارد الأفكار، قوي في نفسه أنّ في هذه اللغة أمراً إلهيا، بمعنى أنّ اللّه جلت حكمته هيّأ لها أجيالا متلاحقة ذات قوى مبينة مكينة هم (ألطف أذهاناً وأسرع خواطر وأجرأ جنانا)[1]، وأنّ هذه الأجيال تواكبت على هذا اللسان فأنضجته وأنّه كان يخاطب بذلك علماءنا المستعربين الذين تدربوا بلغاتهم قبل ان يستغرقهم درس العربية الذي كان بدوره ينبههم إلى ما في لغاتهم من دقائق وغوامض وإلى ما بينها وبين العربية من فروق، فلا يجمع أحدهم بين العربية وغيرها، بل لايكاد يقبل السؤال عن ذلك،

لبعده في نفسه وتقدّم لطف العربية في رأيه وحسّه...)[٢].

إذاً فاللغة موهبة إلهية ممهدة بقافلة كبيرة من أجيال العلماء التي تناقلتها وطورتها وحسّنت دلالاتها، من هنا كان السيد عبد الأعلى على خط هؤلاء العلماء المخلصين الذين كان مهماً عندهم (أن يظل لسان الأمة جارياً باللغة التي نزل بها القرآن حتّى تخف به ألسنتها وتستجاش به ضمائرها، وهذا مهم ويجب اعتباره في تربية أبناء المسلمين)[٣].

ولمّا كانت البلاغة هي فن موروث من سليقة القدماء أو هي علم أسلوب الأقدمين، فقد سخر السيّد المفسّر خصوصيات معانيها في تطبيقاته الأخلاقية والعرفانية، فاستبانت قدرته التأليفية والأسلوبية في بناء العبارة وجمع البحوث المختلفة نحو قصد واضح، وهي بالأصل هكذا، فكل ما في الأمر أن قام باستجلاء هذه على حقيقتها، لأنه يرى لا داعي للنظم وبيانه بين الآيات، لأنّ الجامع القريب في جميعها موجود، وهو تكميل النفس أو الهداية هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد استطاع التوفيق بين الآيات والروايات الواردة عند التفسير تحقيقاً للقصد القرآني.

وقبل هذه وتلك، كان لتفسيره القرآن بالقرآن إسهام قوي لرفد البلاغة القرآنية بعامل تفسيري وتحليلي فعال، لاستبيان النقاط القرآنية منه.

أسلوبه التفسيري

إنّ الأسلوب في العربية مجاز مأخوذ من معنى الطريق الممتد (ويقال: للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، قال: والأسلوب :الطريق والوجه والمذهب... والأسلوب: الفن، يقال :أخذ

فلان في أساليب من القول، أي: أفانين منه...)[٤].

وإنّ للأسلوب جذوراً بيئية ونفسية تمثل انثيالاته عبر التقادم الزمني، فهو اللفظ المنطوق في بعده الشكلي والمعنى الدال في بعده الفني، أو هو الدلالة على النظام والقواعد العامة، أي: هو فكربالدرجة الأولى، وبعدها يتم استحصا ل استقطابي لمنافذه عبر مستوياته أو درجات إرادته القصديّة ليشكل بذلك منظومة تقعيدية متكاملة .

ويعدّ من آليات العمل الموصلة للمقاصد المطلوبة، وهو ينطوي على انطباع ذاتي، فلكل فرد أسلوبه الخاص في التوصل إلى الهدف المعيّن، وفي النص :الأسلوب له طرائق محددة والغاية هي المقصودة.

وأهم صفاته: الصحة والوضوح والدقة[٥]..

فصحته تعني: (أنّه يجب الوصول إلى المنطقة البيانية المطلوبة بالمسار الواضح الصحيح) وهو في سلامته وخلوه من الالتواءات المنطقية والتناقضات المعنوية عند إيراده مع الثوابت العقلية.

إذاَ دقة الوصول إلى المقصد من دون اضطراب أو تعقيد في السير، لأنه إذا حدث أي اختلال في هذه سيفقد الأسلوب مصداقيته في تحقيق التفسير الأمثل والاحتمال الأقرب.

أمّا الوضوح فهو من مستلزمات اللغة المبتنى عليها الأسلوب إذ يجب أن تكون مبينة وغير غامضة، بمعنى إنّه (يجب أن يكون الوصول مبينا مشرقا دالا).

والدقة هي التحرّي الأمثل للمقاربات نحو الهدف، إذ إنّ الوصول إلى الهدف بطريقة أبعد ينافيها، وعليه فهي :المحاذاة التقريبية الشديدة للمسالك الأسلوبية الصحيحة للوصول إلى القصد (سلوك أقصر السبل إلى المنطقة الصحيحة)، وعندها يجب أن يكون التقرّب بأقصر المسالك حتى يكون سريعاً، أو بمعنى آخر:هي المقاربة المثلى والمحاذاة المطلوبة للانطلاق نحو أقصر الطرق إيجازا ووضوحا لاستحصال المطلب.أو (محاذاة فضلى للأسلوب الذي يتوخى أيسر المسالك إلى القصد).

وعلى ما تقدم: فبلاغة الأسلوب التفسيري ترتبط مباشرة بالوضوح، لأنّه إبانة، وهذه يجب أن تكون فيها بالمحل الأعلى، لأنها الوضوح وبذلك (لا يكون لها فضل تذكر به إلا اذا أبانت عن معنى فيه سخاء وفيه سعة، لأنه لا يعتوره غموض وخفاء..)[٦]، وعليه فالكلام غير المبين هو غير بليغ، أمّا الذوق والصحة فترتبطان بمنطق الأسلوب، وهما صفتان إضافيتان بعد تحصّل النص على بلاغته.

فالأسلوب = منطق صحيح (الصحة والدقة) + بلاغة شائقة (الوضوح).

وهذه تتعاضد في إظها ر البلاغة التفسيرية على أكمل وجه، وهي لوازم نسبية لأنّها تتراوح قوة وضعفاَ بين الأساليب وتشكل المائزة الرئيسة كل بحسبه...

وينطلق الأسلوب الحوزوي من مقدمات منطقية بنسبة عالية، لأنّ نمطيّة دراستهم منطوية على المنطق الأرسطي، ثمّ البلاغة بالمرتبة الثانية، ومن هذه وتلك نخلص بالجهد التفسيري، وهو جماع لمحاسن المجالين المنطقي والبلاغي... لأن البلاغة اللغوية هي قطاع مجتزيء من علم الجمال، وعندها فإنّ فنيّة اللغة هي الجانب الجمالي منها..

ومن مقدرة المفسر أنّه جمع بين أسلوبي الكتابة موفقاً بين مخاطبة المستويين العام والخاص، إذ يمكن جمعهما بقريحة واحدة وتابعة لأسلوب المؤلف الفذ...

كما نلحظ ذلك على سبيل المثال في تناوله لـ(التيه) في قصة بني إسرائيل[٧]، فقد تناوله تاريخاً سردياً على نحو يفهمه العامة، ومن ثمّ تناوله على النحو الخاص من حيث الحكمة، وإنّ العذاب النوعي لم يكن نقمة، وإنما لتبدّل الجيل الذي نكث العهد وخروج نسل جديد.

أمّا عند التحليل الأسلوبي فنجد السيد السبزواري ينطوي على دراسة معمقة من حيث اللغة والقصد والجمال الذي هو الجانب الفني من البحث، إذ ينطوي على الخلاصة الفلسفية للأسلوب، لأنّ الجمال من موارد الأسلوب الأولى.فهو يفسّر في قسمه الأوّل الدلالات العابرة.. لأنّ في هذه الناحية تتجه الأسلوبية إلى الألفاظ (باعتبارها ممثلة لجوهر المعنى فاختيار المبدع لألفاظه يتم في ضوء إدراكه لطبيعة اللفظة، وتأثير ذلك على الفكرة كما يتم في ضوء تجاور ألفاظ بعينها تستدعيها هذه المجاورة، أو تستدعيها طبيعة الفكرة)[٨]. لأنّ ذلك من أمارات التفوق في الأسلوب وهو: (أن يكون الكلام متماسكاً أشدّ التماسك مرتبطاً أقوى ارتباط، كأنّه بناء متين يشدّ بعضه بعضاً)[٩]، وهي بمثابة التمهيد للتحول إلى صلب الموضوع، لأنّ كليهما يتمّ الآخر، ولابدّ لأحدهما من الآخر.فممّا تناوله في دلالاته العابرة (بيانه مشاركة بعض أهل الكتاب[١٠] للمؤمنين في الإيمان بالله، والسعادة الآخرويّة وعدم اختصاص ذلك بطائفة خاصة).

وتناول في قسمه الثاني: الدلالات المكثفة كما في إشاراته إلى القواعد الكليّة أو البحوث المقارنة، كالتوبة في الأديان السّماوية[١١]... أو في الردود، كالردّ على مزاعم من يذهب إلى أنّ الوصول إلى المقامات العالية يكون بالمجاهدة فقط من دون دين أو عقيدة)[١٢].

والسبزواري بذلك يهيء في المنطقة التمهيدية (ذات الدلالات العابرة)، والمنطقة المكثفة، دخولا في صلب الموضوع وإغناءً لكلا المنطقتين بما يلائمها من دلالات..

إذاً: فالدلالة العابرة هي الدلالة غير المنشطة، أمّا المكثفة فهي الدلالة الفعالة، فالاولى يوردها في مداخله البنائية، وهي دلالة (مؤقتة)، لذا سميت بالعابرة، لأنّ عبورها يتصل بالزمان، فهي تشبه الخواطر المتأملة.. لعدم تلبثها بالذهن، في حين نلحظ أنّ المكثفة هي التي تستحق مكوثا نسقيا عاليا بين عناصر النص، لكونها تمتاز بالديمومة النسبية مقارنة بأختها ...

أمّا تنوّع المضمونات عنده فذلك سمة ملحوظة في النصوص القرآنيّة منعكسة على نصوص المفسّر، لذا تموج عباراته التفسيرية بشتى الأبعاد الأخلاقية والاجتماعية والعرفانية.

عناصر بلاغته

كانت سليقة السيد البيانية هي الجنبة الجمالية في الاستحواذ على التحليل النصي بدءاً بانتخابه للمقطع وطريقة تلخيصه لمضمونه، ومن ثمّ ربطه بسواه من المقاطع ليلخّص ما ورد مجملا مقوّما لأفكارها دالا على الإفادة منها في التهذيب النفسي والاعتبار السلوكي[١٣]، لانّه يدرك أنّ (من يحكم اختيار ألفاظه وتراكيبه وصوره لابد له من ذوق يعينه على ذلك، ومن هنا كان

أعـرف الناس بطبقات الكلام أقدرهم على صوغه...)[١٤]..

ومـع ذلـك فقـد تـوكأ ـ كمـا يقـول الدكتـور عبـد الـرؤوف ـ علـى (المبادئ البلاغية الموروثة كالاسـتخدام والالتفات ونحوهمـا... إلا أنّ تذوقـه الفنـي يتجاوز الدائرة الموروثة ليعبر بها الى تخوم الفن الحديث أحياناً، وهو ما يهب ـ كما كررنا ـ تفسيره مزيداً من القيمة)[١٥].

وهو في هذه وتلك يسعى لارتفاع شأو الكلام في الحسـن والقبول، وذلك بكثرة الاعتبـارات، وهي غـزارة المعانـي التي (تتداخل وتتزاحم فـي أحوال الأبنية من تعريـف وتنكير وتقديم، إلـى آخره...لأنّ هـذه الأحوال هي وحدها التي تسـتوعب ما تسـتوعب من المعنى المبسـوط، فإذا لم يكن وراء هذه الأحوال هذا البسـط من المعنـى، وهذا السـخاء انطفأت وبطلت فاعليتها، وكانـت أحوالا لغوية فارغة كما فـي الكلام المعتاد، وهـذا مما لا يجوز أن يغيب عنا)[١٦].

ومن هنا فإنّ إشارات السيد إلى النكات الأسـلوبية والمجازات البلاغيّة قد أفضت فـي هذا الصدد إلى بناءاتـه المنهجية، لأنّ تلكم النكات والأسـرارهي بنيتـه التحتية، وهـي تطبيقات لما اعتمـده أو ذكره منها، استكمالا لمفادات الموضوع...

كقوله: (الآيـة تدلّ على معنى دقيق)[١٧]، والدقة المعنوية تؤخذ من جزالة التركيب، وهي الوجه الآخر لقـوّة البلاغة..أمّا الدقة الدلاليـة في فحـوى الآية لهي مـن أركان الإعجاز، لأنّها تابعـة للقصد البياني، وهو الحقل الموصل إلى الإرادة القصدية المبتغاة من النـص، وهذا يمثـل المدخل الصحيح للإعجـاز، بمعنى أنّه متى ما اتضح القصد على نحـو دقيق حصـل الإعجـاز، وذلك لايتحقق في الذهن البشري الاعتيادي-لأنّه لبّ الإعجاز-، بل عند الراسخين فقط.

ولمـا كان القصـد مركزيا فـي بلاغة النـص فوجـب علـى المفسـر أن يقترب أكثر من محيط ذلك المركز كي يستشـرف المعنى الاقرب للدقة...

أمّـا احترازه فهـو ناتج مـن أنّ كلّ ما أبهـم يصبـح مـوردا لتضـارب الأقوال وتعـدد الإفـادات، وخصوصاً ممـا أورده كالاحتمـالات المتصـورة فـي الحـروف المقطعة[١٨] أو الوجوه المتصورة بسـجود الملائكة[١٩] أو الصاعقة واحتمالاتها[٢٠] في قصة بني إسرائيل.

ومـن حقه الاحتـراز هنـا، أو إيراد ما ظهر عن السابقين لبيان النقطة المطلوب البحث عنها، وهذا من الاسلوب الاحتمالي الـذي يتبنـاه كل مفسـر، لعلـه يصيب في احداها كبد الحقيقة...

أو إيجـازه وعدم إخلالـه وهو من بنائه الأسلوبي المتماسك الذي زاد في مفاتيحه الإيجازيـة كقولـه ـ على سـبيل المثـال ـ): والمتحصّل من جميع ذلك :إنّ الآية الشريفة في المقام بضميمة سـائر الآيات الكريمة تدلّ على أنّ جميع أهل الكتاب ، بل جميع أهل الناس سـوف يؤمنون بعيسى عليه السلام وإنّه حيّ لم يمت ويعود فيؤمن به الأحياء فتتحد الأديان كلها...)[٢١].

أو فـي كشـفه للفـروق البيانيـة بين التراكيـب الإسـنادية للآيـات مـن حيث خصوصيـات المعنى، ومسـتويات الإبانة في شـعاب العبارة...من ذلك مـا أورده أنّ للتزكية مراتب والسـرّ فـي تقديمها في سورة البقرة لقوله تعالى: (ربنا وابعث فيهم رسـولا منهم يتلـوا عليهم آياتـك ويعلمهم

الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز العليم)[٢٢].

وتأخيره في السورة نفسها لقوله تعالى: (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون)[٢٣].

فيقول: (ولعل الوجه في ذلك أن للتزكية مراتب كثيرة منها الإرشاد المحض وإتمام النعمة ومنها التخلي عن الرذائل ومنها التحلي بالفضائل ومنها التجلي بمظاهر الأسماء والصفات الربوبية، ولكل منها درجات فيحمل ما قدمت فيها التزكية على بعض المراتب وما أخرت فيها على البعض الآخر)[٢٤].

فهنا التقديم والتأخير- وهي آلية قصدية قرآنية- سخرها المفسّر لإبانة جوانب النص من عدة جهات كي تترسخ المفهومات المطلوبة من حيث ما كان الإتيان والتناول التعبيري، فهو أسلوب للمقاربة سواء من المورد الأول أو الثاني، حتى يحصل التثبيت والتوكيد لهذا الموضوع بتكراره على وجهين..

توظيفه للعربية

يقصد بالتوظيف أوّلا : أنّها تلقائية مسخّرة للتنزيل والكتاب وليس العكس هو الحاصل أي: أنّ الكتاب يمتاح من اللغة، وإن كان ظاهراً يتقوّم بها، فلولا نزول القرآن لاندثر ما يسمى باللغة العربية منذ أيام تطورها الفائق، لأنّ انحدارها إلى التشتت اللهجي في عصورها المتأخرة يعد موتا حقيقيا لها... لذا يكون توظيف الدلالات المتشعبة والمستلة من النص في إلقاء الومضة الأولى على النص نفسه بمثابة الكشف الذاتي للنص مع الترابط الدلالي الممتد لمساحات أخرى منه.

فممّا أورده في هذا الباب تناوله للحقول الدلالية كـ(الفراش والبساط والمهاد)[٢٥]، وهي تمتاز بالسعة اللفظية، أي:أنّ دلالاته لها حقولا واسعة تتحرك نحو هدف معنوي تخترقه من خلال أسلوبه في التجمّع اللفظي، أو بمعنى آخر:إنّ التحول الاسلوبي في هذه الاطلاقات يدل على إمكانية عالية في التصرف اللفظي بما يوائم الدلالة والتداول نسقا وقصداً..

ولأنّ اللغة أداة لتوظيف المعاني فهي آلية تواصلية مهمتها الارتباط والفهم لأجل التفسير باستعمال مجالاتها الدلالية والمعجمية . وعليه كان القصد الدلالي هو الأساس في بناء النص التفسيري، لأنّه كاشف يتوصل به الى المقاصد الحقيقية المتوخاة في همّة أو نيّة أو عنيّ، آخذين بنظر الاعتبار ما انطوت عليه النظرية الدلالية في استجماع حقولها لإبانة فضاءات النص.

وهذا ما حملته بحوثه من «روائي وفقهي وفلسفي وكلامي وأخلاقي وعلمي وأدبي وعرفاني.. الخ. بمجملها من زبدة المخض للمعرفة القرآنية ...وعندها لم يكن مكتفياً بما لديه من رصيد وإنما لابد له من الارتباط والاتصال بمظان السابقين بما يشبه التفسير المقارن، لاستحصال الوجوه المختلفة في الدرس الأسلوبي، وهذا ما جعل استحصاله لثمار النص ممكناً وغنياً.

أمّا منهجيته القوية المدعمة فكانت جامعة مانعة لتلمّ بالجهد التفسيري للسابقين فقد تكون بصدد الربط المحكم بين المقاطع والآيات من قبيل ترتب العلة والمعلول أو السبب والمناسبة وهو ما

نلحظه على سبيل المثال في تناوله لقوله تعالى: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل* فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) [٢٦] إذ يقول: في الاية: (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل...

(ترتب هذه الآية الشريفة على الآية السابقة من قبيل ترتب المعلول على العلة التامة المنحصرة ، فإنّ المؤمن إذا وكل أمره إلى الله تعالى واعتقد انه عز وجل يكفيه ويعطيه الله تعالى الجزاء العظيم .

وقد ذكر عز وجل أمورا أربعة هي:الانقلاب بنعمة من الله، والفضل، وصرف السوء، وإتباع الرضا)[٢٧].

وتعاضدت منهجته بمثل هذه العناصر المرتبطة أساساً بالنص والكشف عنها مسخراً علائقها في رفد تفسيره بطاقة إشراقية، وصولا إلى القصد الأعلى للنص.

أو مما نجده في التنظير والتحليل، من ذلك بحثه ـ على سبيل المثال ـ في (التوكل) [٢٨]. ولمّا كان هذا المبحث هو سمة أخلاقية فإنّ ما سيذكره في صدده وفقراته هاد لاستخراج الجنبات المتعلقة به، وكذا في كل سمة أخلاقية أخرى... فهو يورده على النحو الآتي:

ـ (فضل التوكل).
ـ (التوكل في الكتاب الكريم).
ـ (التوكل في السنة النبوية).
ـ (معنى التوكل).
ـ (حقيقة التوكل).
ـ (شروط التوكل).
ـ (درجات التوكل).
ـ (آثار التوكل).

ومن هنا فهذه الفقرات المتمكنة والعالية تدخل في آلياته الأسلوبية، وهي نتاج هذه الآليات لتشكل الأسس الرئيسة لبناء تفسيره، وعندها يحاول أن يحقق المقاربة الأسلوبية مع النص القرآني، كي يكون ناجحاً في تفسيره معززا لمعانيه، لاسيما وأنّه حافظ له، إذ أعانه في استلهامه التقاربي من محفوظه، أي أنّ حفظه للقرآن ساعده في الاستلهام التفسيري بتأمّل صاف وبصيرة نافذة...

وكان من توظيفه للغة في علوم أدب القرآن والبحث في آفاق التفسير التحليلي والتنظير الدلالي، وهذه تمهيدات مشروعة للولوج إلى التفسير الأقرب، فأصبح بحثه الأدبي يشمل المجالين اللغوي والبلاغي، كالوقوف على المسائل اللغوية مشفوعة بملاحظ أسلوبية، ولطائف فنية، بمعنى أنّ البحث الأدبي قد انطوى على القيمة المستمدة من جذور اللغة وأصولها المعنوية، أو بعبارة أخرى إنّ بحثه قد تكفل في قسمه الأول بالدلالة العامة للنص في حقل البيا ن، وهي تعطي مؤشرات دلالية عامة لمقطعه التفسيري، ثمّ راح يحلل هذا البيان إلى بحوث متصلة تتناول موضوعات محددة، وهي بمجموعها تمثل التفصيل الدلالي لعموم النص، أو البحوث التنظيرية التي تمثل أسلوبه، وقد جمع بينها عن طريق الارتباطات الدلالية من النص إلى المفسر.

ونجد ذلك عنده ـ على سبيل المثال ـ في أسلوبه (تفكيكا وتفسيراً مفصلا وتلخيصاً) بين بحوثه التنظيرية للمقام، كما في سورة الفاتحة، لأنّه العمدة في سياقاته.. وهذا ديدنه في مؤلفاته...يقول رحمه الله في بحثه الروائي:

(وفيه ماورد في فضل السورة وامتيازها عن غيرها، وما ورد في تفسير آياتها ووجه تسميتها بالسبع المثاني)[٢٩].

وفي بحثه الدلالي:

(وفيه ما تتضمّن السورة من المعارف وما فيها من أدب العبودية)[٣٠].

وفي بحثه الفقهي:

(وفيه أنّ قوام الصلاة بفاتحة الكتاب، وحكم التأمين بعدها، وهل يجوز قصد الإنشاء بالآية المباركة)[٣١].

وفي بحثه الفلسفي:

(وفيه نفي السنخية بين العلة والمعلول في الفاعل المختار)[٣٢].

أمّا الفاصل التفسيري أو الحدّ المنطقي بين هذه العنوانات هو أنّه ينهي موضوعة ليفتح موضوعة أخرى بمقولاته وإدلاءاته مع ماله من إحساس بمواقع الكلمات، إذ يفضي هذا الفتح التعاقبي إلى زبده المخض في استخلاص المنافع البيانية التي طابقت مقتضى الحال لأنّ (القدرة على إثارة المعاني وفتح ينابيعها وتدفقها من هذه الينابيع وجريانها في تلك الشعاب اللغوية حتى لايبقى منها شيء إلا وهو يتزاحم في تلك الأبنية...)[٣٣]، بمعنى أن التراصفات اللفظية جريانات معنوية داخل منطقة النص بما يشكل تفاعلات دلالية متعددة يحاول السيد استلال حزمها المتوحدة التي تنضوي تحت قصد واحد بحسب مساق النص في قالب تفسيري منطقي أخلاقي.

ولمّا كان الموضوع انتقائياً في الانتقال بين هذه وفتح موضوعات متعددة فإنّ ما يجمعها على الدوام هو القصد التفسيري، وهو تابع للمفسر، بل هدفه الرئيس من وجهته في التفسير، ومدى النجاح في هذه المهمة يتعلق بمدى التقارب القصدي بين المفسر والنص والمتلقي، إذ يجب أن يكون لمفسر متقاربا مع قصد النص حتى يكون صادقا في استشرافه...

وتسخّر هذه الدلالات لتلبية الحاجات الأخلاقية والتربوية أو هي بمثابة البناء الجسري الذي يهدف إلى التعديل الأخلاقي والتهذيب، بمعنى أنّه (يحاول إيجاد جسور جديدة بين الكلمة أو الحادثة أو الموقف وبين التعديل للسلوك)[٣٤]، وعندها يكون الأسلوب اللفظي هو المعتمد، فالكلمة جسر دلالي قوي للترابط بين المقاصد وأسس الوصول، وهذا ما يمثل النجاح العملي في المبحث التفسيري، وهو بذلك يحقق أكثر من وظيفة عبادية بحيث يحمل القاريء استيعاب دلالة المقطع ليتحقق له التفاعل مع الأفكار المطروحة وصولا لأن يكون في حالة تثويرية مع النص مؤكدا أن (القرآن حمال ذو وجوه)، والمطلوب عدم الجزم بما ظهر من الاحتمال وإيكال العلم إلى العليم المتعال)[٣٥]، لأنّ هذه الاحتمالات غير قطعية، ومن ذلك لايمكن الجزم بصدورها يقينا: ثبوتا أو إثباتا...

وبما أنّ المقاصد العبادية هي من مستلزمات أسلوبه المبتنى مع المعاطاة، فالوظيفة العبادية تمثل الجانب التطبيقي من تحويل النص للعمل على أرض الواقع، وهذا ما نسمّيه بالنص الناهض أو المتحوّل من القوّة الى الفعل وهو النص الذي يتشخص بأدوات بلاغية عالية (معجزة) بحيث تنهض معربة عن نفسها بشعارات قصدية واضحة وأمارات بيانية هادفة نحو تحقيق ذلك، وأعلى مراتب هذه النصوص المشيرة الى ذاتها: النصوص الإعجازية، فالآية لا تحتاج إلى من يثبت إعجازها لأنّه قائم بذاتها لكونه كلاما لمتكلم أساسا غني بذاته... بمعنى انّ

هذا النص قد أكسب المتلقي مهمة تأويلية تثويرية تكمن في قدرته على استنطاقه، وعندها تتفذلك هذه الحيوية النصية بعناصر تأثيرية على واقع المتلقي بما يجعله فعلاً عبادياً منضبطاً بالنصّ.

ويشهد للمفسر هذا الجهد الفياض لغوياً وتفسيريا في خدمة القرآن الكريم أنّه ذو باع طويل في الاختصاصات التي عرض لها، محققاً إفاداته في مجالات اللغة والتشريع والتفسير وعلوم القرآن، وهو مجهود محمود في مجال خصوصيات المعاني، لاستعماله التراكيب المتنوعة للبيان القرآني، وقد أبانت عن حركة لغوية واضحة مجالها استنطاق الآيات القرآنية والكشف عن معانيها..

أمّا مجال التشريع ـ فقهاً وأصولاً ـ فقد أسهم في إثراء مباحث الألفاظ من خلال تخريجاته التفسيرية وإشاراته الدلالية في القصد والاستعمال..

وكان ثالث هذه المجالات هو مجا ل التفسير وعلوم القرآن، وهو جماع الامر بصقل الخبرات لدى المفسّر المحلل للتمكن الموسوعي في بحث النص، وهو مجال ـ بالتأكيد ـ جوهري عنده، لأنّه يمثّل التتويج النهائي لمجهوده اللغوي والأصولي تحقيقا وتدقيقا..

الخاتمة ونتائج البحث

رصد الباحث النتائج الآتية:

* حقق السيد السبزواري مهمّته التفسيرية حريصاً على كتابة تفسيره بلغة القرآن داعياً إلى رفدها بالمدد اللغوي الذي يخصبها ويزهرها، لأنّ إحكام بيانها سيأخذ إلى تهذيب السليقة، لأنّ التهذيب السليقي مقدمة على التهذيب الأخلاقي، بدليل إنّ إتقان اللغة ونقائها بحدّ ذاتها هو مدخل حضاري لتهذيب أخلاق القوم، لذا يبقى الراسخون في العلم عند القمة.

* أودع السيد ذلك في جانبين: الأوّل: إيضاحه التفسيري، وهو ديدن كلّ مفسّر وغايته القصوى، وبلغ فيه شأوا بعيداً إذ استنطق دلالات النص وخصوصياته، والثاني:كشفه التأويلي، وهذا يقع في زاوية الكلام والعرفان، وقد أفرد له السيد جوانب من تفسيره، وهو يتناسب والعرفان الإسلامي.

* لمّا كان الغرض التهذيبي ملمحاً واضحاً في مواهب الرحمن فهذا يدلّ على مقدرته القصدية وتجلياته التي تتمثل في إباناته للآي الشريف في مجالي الهداية والعرفان، بمعنى أنّه يجلي الجانب التربوي عقلا ونقلا بلمسات عرفانية متميزة، وهو يتفاعل معها في مادته المبحوثة، على وفق لغة خاصّة، وإن لم يتمكن أن يفصح عنها إلا بشذرات قليلة تفيض به مواهبه واستعداداته.

* تتوجت مزايا بلاغته بصحة أسلوبه أوّلا، وهي دقة الوصول إلى المقصد، وعندها لم نجد ما يحيل بين النص والوصول إلى تلكم المقاصد.. وبوضوحه ثانياً، وهو إبانته وكشفه ووصوله إلى القصد من دون إشكالات معنوية أو معجمية كالألفاظ المجازية البعيدة أو الغريبة.. وبدقته ثالثاً: وهي المقارنة المثلى والمحاذاة المطلوبة للانطلاق نحو أقصر الطرق إيجازاً ووضوحاً، لأنّ الدقة هي إتباع أيسرها في استحصال المطلب التفسيري...أمّا علاقة هذه المزايا أو السمات بالمنهجة والتنظير، فإنّ المنهج هو عبارة عن نظام يستند إلى هذه الثلاثة ابتناء ثمّ تستعمل أدواته لاستيفاء المطلب البلاغي، وهذه أصول الأسلوب

الأمثل الذي ينبغي اتباعه..

* إنّ اعتماد المفسر على المقطع في تفسيره (تفكيكا أو تفسيراً مفصّلا أو تلخيصاً) هو من المداخلات التفسيرية التي ناور بها لتحقيق مهامه القصديّة، تأملات واستنباطات ووجوه ودلالات..وقد خصص لبحث العرفان الحظ الأوفر منها انسجاما مع قصده الذي ألّف به التفسير.

* إنّ تحليل الأسلوب التفسيري عنده قد انطوى على عدة مفاصل مهمة تتمثل في إشراقة اللفظ وإيحاء المعنى وسلامة التركيب، إذ أنتجت هذه جميعا بلاغة فائقة وشحت تفسيره المبدع للقرآن الكريم محاولا استيفاء متطلبات النص البياني بشقيها اللغوي والبلاغي استحصالا للمطالب العالية من إطلاقات النص.

(وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين) ■

---

(١) ابن جني : الخصائص ١/ ٤٧.

(٢) أبو موسى محمد محمد : الإعجاز البلاغي ص ١٣ وينظر ابن جنيّ الخصائص ٤٧، ٢٤٢.

(٣) أبو موسى محمد محمد : الإعجاز البلاغي ص٢٢.

(٤) ابن منظور : لسان العرب مادة (سَلب) حج ٤٧٣/١، وينظر : عبد المطلب محمد: البلاغة والأسلوبيّة ص٨٢.

(٥) ينظر :هلال / مَحمد غنيمي :النّقد الأدبي الحديث ص ١١٨-١٢١.

(٦) أبو موسى :مَحمد مَحمد :مدخل الى كتابي عبد القاهر ص٥٥، وينظر :هلال : مَحمد غنيمي : النقد الأدبي الحديث ص١١٩ – ١٢٠.

(٧) السّبزواري : عبد الأعلى / المواهب الرحمن ١٨٠/١١ – ١٩١.

(٨) عبد المطّلب :محمد : البلاغة والأسلوبية ص٢٠٧.

(٩) أبو موسى : محمد محمد : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص ٣٨٨.

(١٠) ينظر : السبزواري : مواهب الرحمن ٢٠٩/٧.

(١١) ينظر: السبزواري : مواهب الرحمن ٢ / ٢٧٩-٢٢٠.

(١٢) ينظر : السبزواري : مواهب الرحمن ٩ / ٤٠٥.

(١٣) ظ: عبد الغفور / عبد الرؤوف : منهج السيد عبد الأعلى السبزواري في التفسير (بحث) ص ٤٥٧.

(١٤) أبو موسى : مَحمد مَحمد : الإعجاز البلاغي ص ١٦.

(١٥) عبد الغفور : عبد الرؤوف / منهج السيد عبد الأعلى السبزواري في تفسير (بحث) ص٤٨٠.

(١٦) أبو موسى : محمد محمد : مدخل الى كتابي عبد القاهر ص ٢٢١ – ٢٢٢.

(١٧) السبزواري : مواهب الرحمن ٩ / ٢٨٨.

(١٨) السبزواري :مواهب الرحمن ٥ / ٧.

(١٩) السبزواري :مواهب الرحمن ١ /١٦٧.

(٢٠) السبزواري :مواهب الرحمن ١ / ٢٤٥.

(٢١) السبزواري :مواهب الرحمن ١٠ / ١٤٦.

(٢٢) الآية ١٢٩.

(٢٣) الآية ١٥١.

(٢٤) السبزواري :مواهب الرحمن ٢ / ١٤٦.

(٢٥) السبزواري :مواهب الرحمن ١ / ١٠٧ + ١٠٨.

(٢٦) سورة آل عمران / الأيات ١٧٢ + ١٧٣.

(٢٧) السبزواري :مواهب الرحمن ٧ / ٧٢.

(٢٨) ينظر: السبزواري :مواهب الرحمن ٧ / ١٧-٣١.

(٢٩) ينظر : السبزواري :مواهب الرحمن ١ / ٤٦.

(٣٠) ينظر : السبزواري :مواهب الرحمن ١ / ٥٢.

(٣١) ينظر : السبزواري :مواهب الرحمن ١ / ٥٣-٥٤.

(٣٢) ينظر : السبزواري :مواهب الرحمن ١ / ٥٤-٥٥.

(٣٣) أبو موسى : محمد محمد / مدخل الى كتابي عبد القاهر ص ٢٠٩.

(٣٤) عبد الغفور : عبد الرؤوف : (منهج السيد عبد الأعلى السبزواري في التفسير) (بحث) ص٤٩٣.

(٣٥) السبزواري :مواهب الرحمن ١ / ٢٥٤.

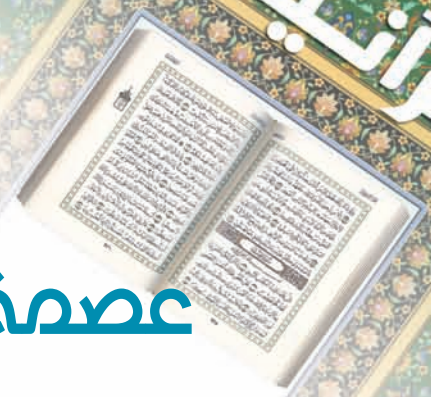

عصمة النبي موسى(ع) من منظور قرآني

قراءة في تهمة النسيان

د. سيروان عبد الزهرة الجنابي •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع

إذا كانت حركية السلوك الإنساني بمظاهرها كافة محكومة بنازعين متصارعين منذ الأزل اولهما (الصلاح والأداء الحسن) وثانيهما (السوء والتعدي الظالم) فإنه يمكن – والحال هذه- القول إن من تقنيات حكمة السماء فيمن تنتقيه من اجل إنابته لأداء مهمة الحق وايقاض البشرية من سباتها الأبدي لإخراجها إلى نطاق الهداية أن يتسم بجملة من الوجهات السلوكية والاتجاهات الفكرية التي تؤهله لان تناط به مهمة إنقاذ الإنسانية وتحريرها من قيود الأنانية ونزاعات الذات؛ من هنا كان لابد على وفق مقتضيات المنطق العقلي وبنائيات الحكمة الإلهية من أن يكون النبي المبعوث من قبل الله تعالى إلى الناس متسلحا بماهية العصمة تلك الهبة الإلهية التي تقي المرء من الوقوع في عالم الخطأ أو الخطيئة في وقت واحد؛ ذلك بأن العصمة هي الهوية التي تعينه تملُّكاً على قراءة مجتمعه بحيثية واعية حتى يتوصل على وفق نتاج القراءة (الصحيحة) إلى جملة حلول يعالج بها إشكالات قومه المثارة على ما جاء به إليهم منقذاً وموجهاً ومغيراً إلى عالم جديد.

ذلك بأنه من المحال أن يرسل الله سبحانه نبيا تشوبه الخطيئة أو يعتريه الخطأ

إذا لم تكن له حصانة (هدى) تصونه من هذه الشـائبة أو ذلك الاعتراء؛ فأنّى له أن يوجّه قومه إلى الرشاد ويطالبهم بأن يقرأوا حكم السماء وسننها في توجيه سلوكهم إلى الخلق الامثل؛ من هنا كان من الواجب أن يتحقق في المبعوث الإيمان المطلق باللّه سـبحانه حتى يصل إلى مرحلة اليقين الواقي من أي زلـل أو هفوة؛ لأن شـدة إيمانه باللّه وقوة تمسكه بالذات المطلقة تمنحه تسديدا نحو تسديد البشرية إلى الصواب؛ لذا كان عليه أن يؤمـن بما يقول ولا يقول ما لا يؤمن به ابتـداءً، ولا يتحقق هذا مـا لم يكن قد بلغ المسـتوى المطلوب من الاحتواء النفسي لليقين والانصهار العقائدي بالذات الباعثة، وهذا يدعـوه إلى أن يرأب بنفسـه عن أي دعوة هوى أو أية حثيثة من الشيطان.

وتأسيسـاً على هذه الدرجة العالية من الإيمان فإن النبي سـتصل نفسه الى مرحلة (الحكمة)؛ وهي السـمة التـي تعصمه من الدخول الى نطاق الخطأ او الخطيئة، فلما أوكل اللّه سـبحانه بالنبـي إيصـال الكتاب إلى الناس وإرشـادهم إلى الهدى أودع فيه الداعـي على صيانة أداء هذه المهمة بدقة، ومهارة إيصـال المراد السـماوي بإتقان، فكانـت الحكمـةُ التي تحلّى بهـا النبي هي التـي تقيه من الخطأ وتعصمـه من الزلل؛

بيد أن هذا لا يعني أن الله هو الذي يعصم النبي بالحكمة وليس للنبي دور في ذلك؛ ليس المسألة بهذا التصور البتة، ذلك بان الله تعالى يمنحَ النبيَّ الحكمةَ؛ وعلى النبي ان يتصرف بهذه الحكمة فأما أن يُخطيء وأما أن يُصيب؛ ولكن لما كانت حكمته تمنعه من الخطأ ذاتا لا فرضا من الله تعالى، عُلِمَ بذلك أن تلك الحكمة هي لطف من الله يمنحه للمرء تصرفا لا قسرا لكي يعصم نفسه من الخطأ؛ فـ(العصمة عبارة عن قوة العقل من حيث لا يغلب مع كونه قادرا على المعاصي كلها كجائز الخطأ، وليس معنى العصمة أن الله يجبره على ترك المعصية؛ بل يفعل به ألطافاً يترك معها المعصية باختياره مع قدرته عليها كقوة العقل وكمال الذكاء والفطنة وصفاء النفس وكمال الاعتناء بطاعة الله تعالى ولو لم يكن قادرا على المعاصي؛ بل كان مجبورا على الطاعات لكان منافيا للتكليف)[1].

غير أن ثمة خلافاً طويلاً وجدلاً واسعاً على امكان وجود العصمة (الحكمة) للنبي؛ إذ وقف الأمر فيها بين مؤيد لها ومثبت إليها وبين رافض لها ومنكر لأصلها، ومن اجل تمحيص الحقيقة والسعي وراء استكشاف الحق واثبات العقيدة الأصل في هذا النطاق الفكري سنلجأ الى قراءة منطق عصمة النبي موسى عليه السلام في مسألة صدور (النسيان) منه، فإذا كان النبي موسى عليه السلام معصوماً من الخطأ فانه ـ والحال هذه ـ يعد النسيان منه جزءاً من الخطأ لأنه قد يغفل عن شيء مهم ما يفضي إلى ارتكاب خطيئة أو تأخير حق أو الابتعاد عن أداء المنجز الإلهي في وقته المناسب، وهذا كله داخل في نطاق عدم المقبولية منه؛ لأنَّ النسيان ينتمي إلى هوية الهفوة وعالم الوقوع في الزلل بأي حال من الأحول وبأي كيفية من الكيفيات؛ ذلك بأنَّ محصلته هي الإغفال، وهذا الأخير ينقص من سمة العصمة لديه، من هنا آخذ مَنْ يتكلم بلغة الشك - في سمة (العصمة) ـ موسى على نسيانه وذلك تحديداً في قوله تعالى (فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا)[2] وقوله أيضاً (قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا)[3].

فوردت لذلك إجابة السيد محمد صادق الصدر عن هذا الشبهة على منحيين بقوله (الأول: يمكن أن يكون تعبيراً آخر عن النسيان العملي يعني أنها حالة تشبه النسيان عملياً وليست نسياناً حقيقياً، ثانياً: ان القاعدة العامة وإن كانت هي استحالة النسيان للمعصومين عليهم السلام إلا ان الله سبحانه قد يريد ذلك لهم أحياناً)[4].

نلحظ أن السيد الصدر قد وجّه مسوغ النسيان بصورة عامة دون ان يحاول مقاربة تفكيك النصين وإعادة قراءتهما تفصيلاً؛ لان النص الأول الذي وظّفه المعترض على العصمة وقد وسم به موسى بالنسيان لم يكن فيه موسى ـ في حقيقة الأمر ـ هو من خُصَّ بالنسيان البتة؛ لأننا لو عدنا الى تتمة النص كاملاً لوجدنا حقيقة هذه الحقيقة فالنص بتمامه هو (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ

عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً)[٥] بهذا يتضح أَنَّ الذي نسي ليس موسى بل فتاه، بدليل ان موسى هو من سأل فتاه عن الحوت في قوله تعالى (فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا) ففاعل الفعل (فقال) هو موسى والقرينة ان المفعول به (المخاطَب) هو (فتاه) والحوار في النص كان دائرا بين موسى وفتاه فحسب لا اكثر؛ لهذا أجابَهُ فتاهُ بقوله (قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ) بهذا يكون النسيان تابعاً إلى فتى موسى لا إلى النبي موسى؛ لأنَّ (تاء) فاعل النسيان في قوله (نَسِيتُ) تعود لفتى موسى، والدليل ان موسى كان يعلم بأن ثمة موضعاً ينسى فيه الفتى شيئاً وهو الموضع الذي يشير إلى لقائه مع الرجل الصالح بدليل قوله (قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً) وتأسيساً عليه نفهم أن النسيان في الآية الأولى المُعترض بها لم يكن فعل النسيان فيها لموسى؛ وبهذا ينتفي الشيء بانتفاء الموضوع، أما إذا قيل بأن الآية التي نسبت النسيان الى موسى عليه السلام هي صريحة في منطقها إذ اسند سبحانه فعل النسيان باستعمال ألف الاثنين إلى موسى وفتاه على حد سواء بقوله (فنسيا)، فإنه يمكن القول فيه بما نص عليه القرطبي في قوله: (إنما كان النسيان من الفتى وحده؛ فقيل: المعنى؛ نسي أن يعلم موسى بما رأى من حاله فنسب النسيان إليهما للصحبة، كقوله تعالى (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ)[٦] وإنما يخرج من الملح، وقوله (يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ)[٧]، وإنما الرسل من الأنس لا من الجن)[٨] فكأن نسبة النسيان الى موسى جاءت من باب التغليب لا من باب الحقيقة الواقعة.

أما الآية الثاني فالظاهر بأنها كانت المستند الذي أسس عليه السيد الصدر كلامه الذي قسمه على منحيين؛ فأما قوله الأول بأنه (يمكن أن يكون تعبيراً آخر عن النسيان العملي يعني أنها حالة تشبه النسيان عملياً وليست نسياناً حقيقياً) فكان يبتغي منه أن فعل موسى مع الخضر عليهما السلام حينما أراد منه الصبر وعدم سؤاله لم يكن يدل على نسيان حقيقي ابداً؛ فموسى لم ينس ما قاله الخضر من توصيته بالصبر وعدم السؤال؛ لكن حرص موسى الشديد على معرفة السبب والداعي وراء خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار بلا ثمن، كان هو الدافع الملح وراء إعادة سؤاله المرة تلو الأخرى؛ فكأنَّه نسي وصية الخضر لشدة تعلقه بمعرفة العلة وراء هذه الأفعال الغريبة من منظوره، وفي الحقيقة هو لم ينسَ، ودليل على عدم نسيانه هو قوله تعالى (قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً)[٩] فالخضر عليه السلام كان يعلم بأن موسى لا يستطيع الصبر لهذا أوصاه به، ودليل عدم صبر موسى على عدم السؤال هو انه لا يستطيع السكوت على شيء لا يعرف سببه والغاية منه والمنطلق الذي صدر لأجله هذا الفعل؛ وذلك بدليل قول الله تعالى على لسان الخضر (وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً) فهذا ليس سؤالاً حقيقاً بأداة الاستفهام (كيف)؛ بل هو سؤال إنكاري؛ إذ أُحيلَتْ العبارة من السؤال الاستفهامي إلى الأخبار المنفي؛ فالمقصود (انك لا تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً) وهذا اعتراف من الخضر على أنَّ

موسى لم ينسَ حينما سأله عن سر أفعاله؛ بل كان سبب السؤال هو عدم معرفته بالسبب والعلة لا أكثر، وهذا يعزز القول بأنَّ دلالة الفعل (نسيت) في النص يمكن أنْ ينصرف إلى معنى (الترك) لا إلى معنى الغفلة والسهو؛ وقد ذهب إلى هذا القول غير مفسر[١٠]، فكأنَّه (أراد لا تأخذني بما تركت، ويجري ذلك مجرى قوله تعالى: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ)[١١] أي ترك، وقد روي هذا الوجه عن ابن عباس عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (وقال موسى لا تؤاخذني بما نسيت) يقول: بما تركت من عهدك)[١٢]، المراد من النسيان هو معنى الترك وهو الأرجح لدينا.

أما القول الآخر بـ(أنَّ القاعدة العامة وإن كانت هي استحالة النسيان للمعصومين عليهم السلام إلا ان الله سبحانه قد يريد ذلك لهم أحياناً) فإنَّ له نصيباً من الحقيقة؛ بيد أنَّهُ ليس هذا هو موضعه؛ لان موسى عليه السلام فيما نحسب لم ينسَ ما عهد به إليه الخضر؛ بل ترك العهد لتعلقه بمعرفة السبب لا أكثر.

من هذه القراءة التحليلية المكثفة والسريعة نصل الى منطق مقنع ينص على أن النبي موسى عليه السلام براءٌ من اتهامه بمسألة النسيان على اساس ان صفة النسيان تدخل في نطاق الغفلة والمعصوم لايمكن ان تصدر عنه الغفلة او يعتوره النسيان او يداخله السهو مطلقاً بلحاظ عصمته وإلا خرج من لازمة العصمة الى لازمة الخطأ وامكان حدوثه منه؛ ذلك بان هذه التهمة لم تكن حقيقية لأن حدث النسيان لموسى يمكن أنْ يُحمَل على دلالة (الترك) لحرص موسى عليه السلام على معرفة ما كان غريباً عليه من تصرفات الخضر؛ وقد أعان على هذا إحالة دلالة النسيان على معنى (الترك) جملة من القرائن النصية في التعبير القرآني وذلك في عرضه لروايتهما معها وتفاصيل حوارهما مع بعضهما بعضاً.

وتأسيساً عليه نقول إن النبي موسى كان معصوماً وانه لم يرتكب الخطأ ولم تهفُ نفسه إلى الخطيئة، وإذا ما ثبت لنا هذا فانه يمكن القول إن جميع الأنبياء هم معصومون لأنهم يقفون من منظور السماء على مسافة واحدة من حيث المكانة والتعامل والتسديد الإلهي فما يجري على الواحد يجري على الكل بحكم تساوي مناط التكليف واتفاق نطاق المهمة والغاية المراد تحقيقها.

---

(١) صالح الورداني: عقائد السنة وعقائد الشيعة: ١٠٢.
(٢) سورة الكهف: ٦١.
(٣) سورة الكهف: ٧٣.
(٤) السيد الصدر: الأنظار التفسيرية: ٦٠٢.
(٥) سورة الكهف: ٦٠- ٦٥.
(٦) سورة الرحمن: ٢٢، انما اراد القرطبي بقوله: ({ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ} وإنما يخرج من الملح)، ان اللؤلؤ والمرجان يخرجان من البحر المالح دون العذب، وسند ذلك قوله تعالى {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ* فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ*بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ* فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ} سورة الرحمن:١٩- ٢٢.
(٧) سورة الانعام: ١٣٠.
(٨) القرطبي: تفسير القرطبي:١٣/١١.
(٩) سورة الكهف: ٦٨- ٧٠.
(١٠) ينظر: الطبرسي: مجمع البيان: ٤٧٤/٦، والشوكاني: فتح القدير: ٤٣٢/٣، والبغوي: تفسير البغوي:١٩٠/١، ومحمد رضا المشهدي: كنز الدقائق: ١١٥/٨، والعاملي: الوجيز:٣٤١/٢،
(١١) سورة طه: ١١٥.
(١٢) الشريف المرتضى: تنزيه الأنبياء:١٢١.

مسجد السلطان أحمد

المسجد الأزرق

مسـجد السـلطان أحمد أو المسجد الأزرق يقع في مدينة اسـطنبول في تركيا ويقع بالضبط في ميدان السـلطان أحمد ويمكن الوصول إليه عن طريق المترو. ويتسع لعشرة آلاف مصلي، وهو جامع مذهل في عمارته وأنواره بالليل ويقع مقابل لمتحف آيا صوفيا. سمي بالجامع الأزرق نسبة إلى البلاط الأزرق الذي يزين جدرانه الداخلية.

مسـجد السلطان أحمد هو المسـجد الوحيد في تركيا له ستة مآذن ، وعندما كشف السـلطان أحمد عن عدد المآذن تعرض للنقد إذ لا يجوز أن يكون أكثر من مسـجد بستة مآذن وذلك بسـبب بناء مسـجد الكعبة في مكة المكرمة بستة مآذن ولكن السلطان أحمد تغلب على هذه المشكلة بواسطة تمويل بناء المئذنة السابعة في الكعبة.

وبني هذا المسـجد من عدة مسـتويات إذ يقع في أعلى المسـتوى الأول القبة و يبلغ ارتفاعهـا ٣٣ متر وقطرها ٤٣ متر ، أما داخل المسـجد فإنه مبني على ٢٠٠٠٠ عامود من السـيراميك صنعت باليد ، أما الطبقة العليا فإنها مرسـومة بأكثر من ٢٠٠ لون ، والزجاج صمم بشكل يضفي ضوء طبيعي على المسجد.

يتم الاسـتعانة اليوم بالشمعدنات ، وفوق هذه الشمعدنات وضع بيض النعام خصيصاً لمنع تكون بيت العنكبوت داخل المسجد ■

حكاية مستبصر..

السيد حسين الرجا

(سوريا ـ شافعي)

مولده ونشـأته: ولد عام ١٩٤٥م في سـوريا، بمحافظـة دير الـزور، قرية حطلة، ترعرع في عائلة شافعية المذهب وصوفية المسلك ينتهي نسبها إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام تتلمذ على يد أحد الملالي ودرس عنده القرآن الكريم والفقه الشـافعي والعقيدة الأشعرية، ثم التحق بمعهد الهداية مدّة خمس سنوات وانتسـب بعد ذلك إلى الطريقة القادرية الصوفيـة وعمـل بها كمجـاز من نقيب الأشـراف في بغـداد، تـرك المذهب الشـافعي حوالي عـام ١٩٨٤م، واعتنق مذهب أهل البيت عليهم السلام إثر البحث الذي أجـراه في كتب المذاهب طـوال أربعة أعوام.

بداية التعرف على التشيع

يقول السـيد حسـين: كان أحد أبناء قريتي يخدم في الجيش السـوري برتبة مسـاعد، وقد أثـر عليه بعـض زملائه الشـيعة في الجيش، وهو بـدوره أيضاً أثـر على بعض أفراد القرية، فسـمعت بهم وزرتهم طلباً للتعرف على مذهبهم، فلم أجد عندهـم في البداية ما يقنعني، فابتعدت عنهم وأخذت أحذّر الناس من الالتحاق بهم، وبقيـت على هذه الحالة بضعـة أعوام حتى توفـرت لي الأجواء المناسـبة للبحـث عن المذاهـب نتيجة توفـر الكتب عندي، فأخذت أقارن بين العقائد والمذاهب لمـدة تقارب الأربع سنوات:

ففي السنة الأولى بحثت بشكل مركز عن العقائد.

وفـي السـنة الثانيـة قارنـت بيـن المذاهب ومذهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام وقبل تمام سنتين من البحث شعرت بشـكوك حادّة وعنيفة تدخل حرم قلبي بلا اسـتئذان، لـم أتكلف لهـا طلباً ولم

أستطع لها رداً، فاستعذت بالله من هذه النتيجة والتجأت إلى الله أدعوه، وكنت أخرج من بيتي ليلاً فيأخذني البكاء وكان الناس يسألوني وأتحدث لهم في المجالس وكانوا يثقون بي ثقة عمياء، فأقول في نفسي: لو تعلمون من الذي يحدثكم لطردتموني من مجالسكم.

وفي السنة الثالثة حاولت أن أكتشف مظلومية أهل البيت عليهم السلام في التواريخ المختلفة.

وفي السنة الرابعة كنت حيراناً معذباً أقدّم رِجلاً وأؤخر أخرى، كنت في حالة شك كبيرة، باعتبار أنني شككت في المذهب السني، ولم أكن أرى من رجوع إليه، وكنت أرى أحقية التشيع.

معاناة مرحلة التحول

يقول السيد حسين: كانت دراستي خلال المقارنة بعيدة عن الهوى والتعصب والطائفية والعواطف، وكنت حذراً حاضر الذهن دقيق الملاحظة غير متسرع في الحكم، فآمنت بأهم المسائل العقيدية والمذهبية مسألة مسألة.

ويضيف السيد: وباعتبار أن مثل هذا الانتقال: صعب وشائك جعلت الرياح تعصفني يميناً وشمالاً، فتعثر لساني وتردّد قلبي وكأن أمواجاً تتقاذفه، موجة للدين وموجة للدنيا، لأني عالم بأن تشيعي سيكون على حساب مصلحتي وسمعتي وكرامتي عند بعض الناس وحجب ثقتهم عني وتفرقهم من حولي، فأصبحت أسير الامتحان في سجن الابتلاء في لحظات لا مناص لأجل الخلاص إلاّ بالفداء، ولكن ما نوع هذا الفداء، فهل أفدي الدنيا بالدين أم الدنيا لأجل الدين، فكتمت أمري ما يقرب من شهرين، وقد استشرت رجالاً من أبناء قريتي وعمومتي ممن أثق بهم فسكت بعضهم وعارض البعض الآخر، وكل ذلك كان سراً.

إعلان التشيع وردود الفعل

بعدما تيقنت بأحقية مذهب الأطهار من آل محمدﷺ، إتخذت قراراً لا رجعة فيه، فأعلنت تشيعي بكل ثقة، وكان ذلك عام ١٩٨٤، وعلى أثر ذلك تفرق الناس من حولي وخلعوا بيعة الطريقة وأساؤا الظن بي وحكموا عليّ بأحكام لم يرض بها الله تبارك وتعالى.

فبعض الناس شمت وشتم، فأصبحت هدفاً للسهام وعبرة لمن يعتبر ولا مشاحة هنا ـ ولا عجب ـ فإن الناس أعداء ما يجهلون، وبعضهم أعذرني ولكن باعتقاد أنني مجنون، وبعضهم يقول: إنه سياسي يستتر بالدين، وبعضهم يقول: إنه ترك دينه لأجل الأطماع، وبعضهم يقول: إنه لا يستطيع أن يرجع إلى دينه فلو رجع فالشيعة يقتلونه، وللأسف الشديد أن مثل هذا الهراء يطلقها أحد السماحات، وبعضهم ظن أنني أبحرت في العلم فاختلط أمري، وذلك انطلاقا من المقولة الشائعة بين الناس: أن العالم عندما يبعد في خوض العلم يدخل على عقله.

المضايقات بعد الاستبصار

يتحدث السيد حسين حول المضايقات التي لاقاها بعد الاستبصار قائلاً: على أعقاب أن إنغرست بذرة التشيع وتجذر جذعها وعلت أغصانها ورفرفت نسائم آل محمدﷺ بأوراقها وكشف بدو الصلاح عن طيب ثمارها، تجمع أوباش الناس حانقين يريدون اجتثاثها من جذورها وإخماد وإسكات أصحابها وحملهم على أشواك طرق غير مأمونة لكثرة التعرج وجهالة المسار واحتمالية النتائج، فهم لا يلوون على شيء ولا يألون جهداً، فتارة بالدعاية والإشاعات وأخرى بالتهويل والتخويف.

موقفه بعد الاستبصار

صمد السيد حسين إزاء جميع الضغوط التي لاقاها من أبناء مجتمعه، ثم تحمل جميع الأجواء الخانقة التي فرضها عليه المخالفين، فلما هدأت الأوضاع شرع السيد بعمله التوجيهي لنشر مذهب أهل البيتعليهم السلام فيقول السيد في هذا المجال : بدأنا نأتي بالمبلغين في رمضان وعاشوراء، وبدأنا ندعو الناس ونصادقهم ونبث فيهم التوعية الإمامية من خلال أخلاق عالية وروح طيبة، فبدأ الوضع يتغير ويميل لصالحنا.

مواصلة البحث والتعلم

لم يكتف السيد حسين بما تعلمه نتيجة الدراسة التي تصدى لها بنفسه من خلال مطالعة الكتب، بل التحق بعد الاستبصار بالحوزة العلمية بدمشق

وتلقى فيها دروساً حوزوية لمدة سنتين، ثم تابع مسيرته الدراسية في الجامعة العالية للعلوم الإسلامية في لندن، ثم أنجز الكثير من المشاريع الإسلامية والخيرية، وهو لا يزال ساعياً نحو إنجاز الكثير منها مثل : بناء العديد من المساجد والحسينيات في شتى المناطق وذلك بالتنسيق مع الحوزة العلمية الزينبية في دمشق.

* أهم مؤلفاته (دفاع من وحي الشريعة، ضمن دائرة السنة والشيعة) : صدر عام ١٤٢٠هـ، عن مؤسسة السيدة زينب الخيرية ـ بيروت ـ لبنان.

يتناول الكاتب في كتابه هذا قضية صحابة الرسول الأعظم محمد ' التي اختلف فيها السنة والشيعة، حيث يعتقد السنة بعدالة كل الصحابة دون استثناء وأنّهم جميعاً في الجنة، وكلهم أنقى من ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، بينما لا يعتقد الشيعة بعدالة كل الصحابة، بل يقسمونهم إلى عدّة أصناف، ففيهم المؤمنون حقاً، وفيهم ضعاف الإيمان، وفيهم الشكاكون، وفيهم المنافقون. وحسب ما ورد في آيات القران الكريم. والكتاب هو مناقشة لأدلة أهل السنة والتي بموجبها يتحاملون على الشيعة، ويبتعدون عن التشيع،ويحتوي على مقدمة وخمسة فصول ■

من (المتحولون/٣٤٢) بتصرف

مصحف فاطمة عليها السلام

شبهات وردود

• محمد دعيبل

لقد تعرض الفكر الشيعي والنابع من تراث أهل بيت العصمة عليهم السلام والموافق لكتاب الله تعالى تعرض ويتعرض الى طعون عدة من قبل الفكر المقابل سواء كان ناشئاً من المذاهب الإسلامية المتعددة ذاتها أم من الأديان السماوية الأخرى التي شابها التحريف والتزوير بالدليلين القاطعين النقلي والعقلي، ومع أن الكلام ليس في باب إثبات ذلك إذ أن البحث يختص في مورد الشبهات التي طالت (مصحف فاطمة) والذي تمت الاشارة إليه في العديد من روايات المعصومين عليهم السلام، ولست في مقام الكلام عن تحريف الأديان السماوية والذي أود تأجيله حالياً لا تكلم عنه في عدد مقبل من أعداد هذه المجلة الغراء وعسى أن أكون موفقاً في ذلك..

أما الكلام عن موضوعنا الذي اشرنا إليه فيمكننا القول من أنه قد ورد في كتب ابناء العامة نصاً مفاده (ان الشيعة زعموا من أن علي بن أبي طالب عليه السلام عنده عدة صحف يعتبرونها من دلائل إمامته منها :صحيفة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة، صحيفة فيها أسماء أعدائه إلى يوم القيامة، الجامعة وهي مصحف علي،

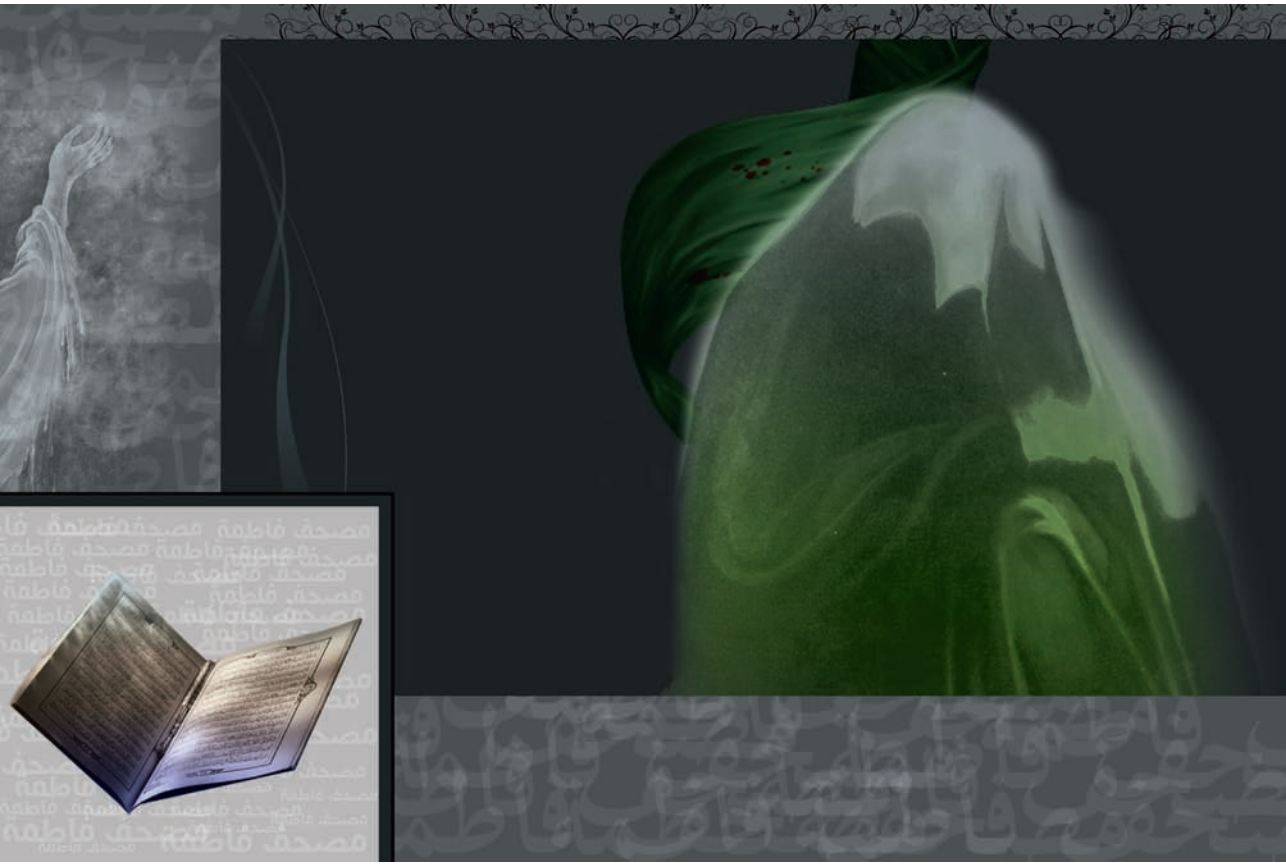

الجفــر الأكبر والأصغر، مصحف فاطمة. وقد تركت الحديث عن الصحف المذكورة باســتثناء مصحف فاطمة كــون أن الكلام قد كثر فيه لتعلقه بشــخصية الزهراء عليها السلام والتي أثارت هيجاناً لدى العامة لتعلق الأمر بمسألة الخلافة بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وبغية أن تعم الفائدة وتســهل مادة البحث لــدى القــارئ الكريــم ارتأيــت أن تكون فقرات الموضوع بشــكل يتم خلاله إيراد الشــبهة ومن ثم الرد عليها بما نمتلك من أدلة لندحض بها تلك الشبهات.

شبهة رقم (١)

الكلام هنــا في أصل صحة مما ورد في كتب العامــة لإثبات وجود مصحف فاطمــة من عدمــه وفق ما تقــدم ففي خلاصة القول يمكننــا أن نذكر القارئ الكريم من أنه قد أثار (مصحف فاطمة) حفيظة العديد من الكتاب، واتخذوا منه وسيلة للطعن والتشــنيع على اتباع أهل البيت عليهم السلام.

الرد على الشبهة

لاشك أن أهل البيت عليهم السلام هم ورثة علم رسول الله صلى الله عليه وآله، والأمناء عليه، فقد تواتر عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: (أنا مدينة العلم وعليٌ بابها) وهو كالصريح بكونه عليه السلام عيبة علمه ومستودع المعارف الإلهية، وقد توارثها منه الأئمة المعصومون المطهرون من ولده. فقد كانوا يتوارثون ما في القرآن الكريم وكتب الأنبياء السابقين، من دقائق المعارف والأحكام الشرعية. ومن جملة التراث العلمي الذي كان يتوارثه أئمة أهل البيت عليهم السلام (مصحف فاطمة) الذي دوّن فيه علم مايكون، مما سمعته الزهراء عليها السلام من حديث الملائكة بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله كما سنرى من خلال النصوص الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة، وقد كانوا عليهم السلام يحدثون أصحابهم أحياناً عن تلك العلوم المدونة عندهم في هذا الكتاب، ويبينون حقيقته.

شبهة رقم (٢)

ورد عن علماء العامة من أنه قد جاء ذكر مصحف فاطمة في أكثر من موضع وفي كتب الخاصة كالكافي، من لا يحضره الفقيه ،بحار الأنوار وغيرها ما نصه:

(إن بعض الإمامية يقولون أنّ جبريل نزل على فاطمة الزهراء بعد وفاة أبيها ليعزيها ويطيب نفسها ويخبرها عن ابيها ومكانه، وما سيحل بأبنائها وذريتها من بعدها، وأخبرها كذلك بجميع الحوادث الخطيرة الآتية، خاصة ما سيواجه ذريتها، من المصائب والبلايا،وذكروا أن المصحف يشتمل على أسماء جميع الائمة والخلفاء والملوك والحكّام إلى يوم القيامة ويعتقد الشيعة كذلك أن مصحف فاطمة مثل القرآن ثلاث مرات وليس فيه من القرآن شيء، أو ليس فيه من القرآن حرف واحد وفقاً لما ذكره الكليني في الكافي).

وذكروا في مورد آخر:

(أن علي بن أبي طالب زوج السيدة فاطمة الزهراء وهو من قام بتدوين أحاديث جبريل، بل وهو صاحب فكرة تدوين الكتاب أصلاً، اذ جاء في بحار الأنوار: وخلفت فاطمة عليها السلام مصحفاً، ما هو قرآن، ولكنه كلام من كلام الله، أنزله عليها، إملاء رسول الله، وخط علي).

الرد على الشبهة

لا ريب أن المقصود بالرسول الذي أرسله الله تعالى ليحدث فاطمة عليها السلام هو جبريل الأمين عليه السلام ولكن نزوله هنا ليس بمقام الوحي فكثيراً ما نزل جبرائيل على ذوات غير الرسول صلى الله عليه وآله ونزوله عليه السلام لبيان أمر ما لا يختص بآي من القرآن وقد ذكر القرآن مصداقاً لذلك (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً)[1] حيث أن المقصود بالرسول في هذة الآية هو جبريل عليه السلام كما ذكرت كتبهم أن من ألقاب سيدة النساء فاطمة عليها السلام المحدثة بفتح الدال وفي هذا اشارة إلى أن الملائكة كانت تحدثها عليها السلام.

المحدثون عند أهل السنة

أقول: إذا كان تحدث الملائكة مع أهل البيت عليهم السلام والذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً غلّواً، فلنلق نظرة على كتب الحديث والسيرة والتاريخ عند أهل السنة، لنرى كيف يدعى تحدث الملائكة مع الكثير من رجالهم:

١ـ أخرج البخاري في مناقب عمر بن الخطاب، وبعد حديث الغار، عن أبي هريرة، وكذاأخرج مسلم في فضائل عمر أيضا عن عائشة: أن عمر بن الخطاب كان من المحدثين. وقد حاول شراح البخاري أن يأولوه بأن المراد أنه من الملهمين، أو من الذين يلقى في روعهم أو يظنون فيصيبون الحق، فكأنه حدث.. وهو كما ترى تأويل لا يساعد عليه ظاهر اللفظ. ولأجل ذلك قال القرطبي: أنه ليس المراد بالمحدثين المصيبين فيما يظنون، لأنه كثير في العلماء، بل وفي العوام من يقوى حدسه فتصح إصابته، فترتفع خصوصية الخبر وخصوصية عمر.

٢ـ ممن ادعي أن الملائكة تحدثهم عمران بن الحصين الخزاعي المتوفى سنة٥٢هـ. قالوا: كانت الملائكة تسلم عليه حتى اكتوي بالنار فلم يسمعهم عاماً، ثم أكرمه الله برد ذلك.

٣ـ ومنهم أبو المعالي الصالح المتوفى سنة٤٢٧هـ، رووا أنه كلمته الملائكة في صورة طائر.

٤ـ أبو يحيى الناقد المتوفى سنة٢٨٥هـ، رووا أنه كلمته الحوراء.

وأمثال هذه المرويات في كتب السنة غير قليل، ولم يستنكر ذلك أحد ولم يتهم أصحابها بالغلو.

فاطمة سلام الله عليها محدثة

قد يتوقف البعض عند قصة مصحف فاطمة عليها السلام ويرفض مسألة تكليم الملائكة للسيدة الزهراء سلام الله عليها نتيجة توهم التلازم بين النبوة والوحي، أو بين النبوة وتحديث الملائكة. وعليه فإن كون الرسول صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء والرسل يقتضي عدم نزول الملائكة بعد رسول الله، وهذا دليل على عدم صحة قصة المصحف المذكور، وقد اعتمد على هذا النحو من الاستدلال عبد الله القصيمي في كتابه [المعروف] بـ(الصراع بين الاسلام والوثنية)، متهما الشيعة الإمامية بأنهم يزعمون لفاطمة وللائمة من ولدها ما يزعمون للانبياء والرسل.

كل ذلك اعتمادا على الملازمة المزعومة بين تكليم الملائكة وبين النبوة. وهذه غفلة ما بعدها غفلة.تعال معي عزيزي القارئ إلى كتاب الله عز وجل وهو يتحدث عمن كلمتهم الملائكة أو أوحى الله سبحانه وتعالى إليهم:

١ـ(وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك على نساء العالمين...).

٢ـ (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح).

٣ـ (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا، قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا، قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا).

٤- (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى.. وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، قالت يا ويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب، قالوا أتعجبين من أمر اللّه..).

فهذه نماذج من النساء حدثنا القرآن الكريم عنهن ولم يكنّ نبيات، ومع ذلك شاهدن الملائكة وحدثنهم، أو أوحي إليهن بأسلوب آخر غير تحديث الملائكة، ولم يستنكر ذلك أحد.

ففاطمة سلام الله عليها دلت النصوص على أنها كانت محدثة ولم تكن نبية، وكذلك تقول الشيعة الإمامية بالنسبة لائمة أهل البيت عليهم السلام دون أن يدعي أحد منهم لهم النبوة، إذ لا تلازم بينهما كما تقدم.

ثم إن الاعتقاد بنزول الملائكة على فاطمة الزهراء سلام الله عليها لا يعد غلّوا، ولا مبالغة في فضلها، فهي سلام الله عليها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وأفضل من مريم بنت عمران ومن سارة امراة إبراهيم على نبينا وعليه السلام، وقد ثبت بالنصوص القرآنية مشاهدتهما للملائكة وتكليمهما لهم، فأي غلو في نسبة مثل ذلك لمن هي أفضل منهما؟

شبهة رقم (٣)

أورد علماء السنة في كتبهم نقلا عما روى الكليني عن جعفر الصادق أنه قرأ الآية هكذا: (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين بولاية علي ليس له دافع من الله ذي المعارج) فقيل له: (إنا لا نقرؤها هكذا)، فقال: (هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمد وهكذا هو والله مثبت في مصحف فاطمة) أي أنه أضاف عبارة (بولاية علي) للآية؛ وهذه الرواية تتضارب مع الروايات الأخرى التي تقول أن مصحف فاطمة يحتوي على أحداث وأسماء وليس قرآن. إذ يرفض أهل السنة والجماعة القول بنزول جبريل على أحد بعد محمد بن عبد الله ويرفضون هذا الكلام ويعتبرونه باطلا من أساسه لأن الأحداث التي سوف تحدث من الأمور الغيبية التي لاينبغى أن يعلمها أحد إلا الله وكذلك أسماء الحكام وكل تلك الأمور الغيبية، فهذا مناف لعقيدتهم.

الرد على الشبهة

أقول للرد هلى ذلك يمكننا أن نبين جملة من النقاط وكما يلي:

إن التضارب في الروايات التي وردت في الكافي للكليني لا اساس له من الصحة اذ ان الامام الصادق عليه السلام وحينما ذكر عبارة (بولاية علي) قد يشير ذلك الى تفسير القران الكريم وليس للنص الحرفي لما ورد في كتاب الله تعالى ذلك ان كل كتب الشيعة تنفي وعلى الاطلاق حدوث اي تحريف في الكتاب العزيز بشهادة الاية الكريمة (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وعلى العكس مما ذكرته كتب العامة والتي اشير في الكثير من احاديثها الى حدوث شيء من التحريف في كتاب الله تعالى ومعاذ الله ان يكون كذلك.

شبهة رقم (٤)

وهي شبهة الاسم كون كلمة

(مصحف) فسرت انها تعني القران فحسب اذ اتهم اعداء الشيعة بان هذه الطائفة لا تعترف بالقرآن الموجود بين الدفتين، والمتداول بين المسلمين قاطبة، فيوقعون الناس في وهم بأن مصحف فاطمة المذكور هو القرآن الذي يعتقده الشيعة.

الرد على الشبهة

المصحف في اللغة..

المصحف ـ مثلثة الميم، من أصحف بالضم ـ أي جعلت فيه الصحف، وسمي المصحف مصحفا لأنه أصحف، أي جعل جامعا للصحف المكتوبة بين الدفتين .وبناء عليه، فالمصحف ليس اسما مختصا بالقرآن الكريم.

ويشهد لذلك ما رووه في وجه تسمية المصحف مصحفا، فقد روى ابن اشته في كتاب المصاحف أنه لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق قال أبو بكر: التمسوا له اسما، فقال بعضهم: السفر، وقال بعضهم: المصحف، فإن الحبشة يسمونه المصحف.

قال: وكان أبو بكر أول من جمع كتاب اللّه وسماه المصحف. ونحن لا نوافق على مضمون هذه الرواية لأننا نعتقد أن القرآن جمع في حياة الرسول صلى الله عليه وآله ولاشك ان اول من جمعه هو الامام علي بن أبي طالب عليه السلام بيد اننا اوردنا ذكر الرواية لنأخذ منها ما يناسب المقام من معنى كلمة (مصحف).والكلمة من أصل عربي، فلا معنى للاتيان بها من الحبشة، اذن يتبين للقارئ الكريم من ان المصحف كل كتاب أصحف وجمع بين دفتين، لكن كثرة استعماله في القرآن الكريم أوجبت انصراف الأذهان إليه، وهو لا يكفي لحمل ما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام والتي تتحدث عن مصحف فاطمة على المصحف المعروف، خاصة مع وجود التقييد بإضافته إليها عليها السلام تشرفا بمقامها الكريم كما سيتم بيانه.

شبهة رقم (٥)

ولابد من الإشارة إلى بعض رواياتنا التي تتحدث عن مصحف فاطمة أنه من إملاء رسول اللّه صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام:

اذ يتوهم من انه ثمة تناقض ورد في كتبنا ومصادرنا وجب ان نقف بعض الشيء.

١ـ عن علي بن سعيد عن أبي عبد اللّه عليه السلام: (...وعندنا واللّه مصحف فاطمة، مافيه آية من كتاب اللّه وإنه لإملاء رسول اللّه صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام بيده).

٢ـ عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام: (...وخلفت فاطمة مصحفا ما هو قرآن ولكنه كلام من كلام اللّه، أنزل عليها إملاء رسول اللّه صلى الله عليه وآله وخط علي).

٣ـ عن علي بن أبي حمزة عن أبي عبد اللّه عليه السلام: (...وعندنا مصحف فاطمة سلام اللّه عليها أما واللّه ما فيه حرف من القرآن، ولكنه إملاء رسول اللّه وخط علي).

ولبيان مراد تلك الروايات في المقام نقول:

أولا: لاول وهلة قد يبدو ان هذه الروايات الثلاث تخالف الروايات المستفيضة المتقدمة في حقيقة مصحف فاطمة، حيث ذكرت أنه (إملاء رسول اللّه)، والثانية منها جعلته كلاما

من كلام اللّه أنزل عليها، وفي عين الحال جعلته من إملاء رسول اللّه صلى الله عليه وآله، اذ يحتمل أن يكون مصحف فاطمة سلام اللّه عليها متضمنا لبعض المعارف التي تلقتها عن أبيها رسول اللّه صلى الله عليه وآله فضلا عما تقدم من الأمور التي يحدثها بها الملك، ولعل الرواية التي تذكر شمول المصحف المذكور لوصية فاطمة سلام اللّه عليها تقصد هذا. فيصح عندئذ أنه من إملاء رسول اللّه صلى الله عليه وآله بهذا الاعتبار، واللّه أعلم.

ثانياً: ان يكون المراد من رسول اللّه في هذه الاخبار الملك الذي كان يحدث فاطمة سلام اللّه عليها، لا النبي صلى الله عليه وآله (كما احتمله المجلسي).

وعلى أي حال فهذا لا يضر بمقصودنا، وهو نفي التهمة التي يتمسك بها المخالفون، حيث صرحت جميع الأخبار بما فيها هذه الثلاثة المتقدمة بنفي القرآنية عن مصحف فاطمة.

وفي نهاية المطاف نذكر أن المصحف المذكور بقي عند أئمة أهل البيت عليهم السلام، يتوارثونه مع بقية الكتب المتضمنة لعلوم الأنبياء والرسل الماضين، ومع صحيفة الأحكام الجامعة التي أملاها رسول اللّه صلى الله عليه وآله على علي عليه السلام، وسنتعرض إن شاء اللّه في فرصة أخرى لهذه الصحيفة بشكل مستقل. وقد كان هذا الميراث العلمي يشكل أحد علائم الإمامة الكبرى.

كما ان الامر الهام هو الإشارة إلى أن مصحف فاطمة كبقية الصحف والكتب لم تنتقل إلى غيرهم عليهم السلام، ولم تصل إلى شيعتهم، وليس هناك أي واقع لما يدعيه افتراء بعض الكتاب من كون هذا المصحف متداولا في بعض مناطق الشيعة، لا في بلاد الحجاز ولا في غيرها، والمؤسف أن أصحاب هذه الأقلام يطلقون العنان لأقلامهم دون تدبر ولا تثبت، ويأخذون معلوماتهم من العوام، ويصدقون كل مقولة للطعن والتشنيع، فيثبتونها في كتبهم لتصبح بعد ذلك مصادر يعتمد عليها المأجورون والساعون وراء تفريق المسلمين وزرع الفتن بينهم.

الدليل الروائي

أود أن أبين للقارئ الكريم جملة من الروايات التي تدل على أن مصحف فاطمة الذي يعتقد الإمامية أنه عند أئمتهم، وضمن ميراثهم العلمي، ليس المصحف الذي فيه القرآن الكريم، وأنه كتاب آخر يتضمن علما من علومهم عليهم السلام التي استقوها عن طريق غير مباشر عن الرسول صلى الله عليه وآله عن اللّه تعالى وعن طريق مباشر وهو الالهام كما اكدت هذا المعنى جملة من الروايات عنهم عليهم السلام.

١ـ عن أبي عبيدة عن أبي عبد اللّه عليه السلام: (...أن فاطمة مكثت بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيه ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة سلام اللّه عليها).

٢ـ عن أبي حمزة أن أبا عبد اللّه عليه السلام قال: (مصحف فاطمة ما فيه شيء من كتاب اللّه وإنما هو شيء ألقي إليها بعد

موت أبيها صلوات اللّه عليهما).

٣- عن عنسبة بن مصعب عن أبي عبد الله عليه السلام: (...ومصحف فاطمة، أما واللّه ما أزعم أنه قرآن).

٤- عن الحسين بن أبي العلاء قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إن عندي... ومصحف فاطمة ما أزعم أن فيه قرآنا).

٥- عن محمد بن عبد الملك عن أبي عبد الله عليه السلام: (..وعندنا مصحف فاطمة سلام الله عليها أما واللّه ما هو بالقرآن).

٦-عن علي بن سعيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (...وفيه مصحف فاطمة ما فيه آية من القرآن).

٧-عن علي بن أبي حمزة عن الكاظم عليه السلام قال: (عندي مصحف فاطمة، ليس فيه شيء من القرآن).

٨-عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (...وإن عندنا لمصحف فاطمة سلام الله عليها، وما يدريهم ما مصحف فاطمة سلام الله عليها)؟ قال، قلت: وما مصحف فاطمة سلام الله عليها؟ قال: (مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، واللّه ما فيه من قرآنكم حرف واحد).

٩- سئل الصادق عليه السلام عن محمد بن عبد الله بن الحسن قال عليه السلام: (ما من نبي ولا وصي ولا ملك إلا هو في كتاب عندي، يعني مصحف فاطمة، والله ما لمحمد بن عبد الله فيه اسم).

١٠- عن فضيل بن سكرة قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: (يا فضيل، أتدري في أي شيء كنت أنظر قبيل)؟ قال: قلت، لا. قال: (كنت أنظر في كتاب فاطمة عليها السلام، ليس من ملك يملك [الأرض] إلا وهو مكتوب فيه باسمه واسم أبيه، وما وجدت لولد الحسن فيه شيئا).

١١- عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (... وليخرجوا مصحف فاطمة فإن فيه وصية فاطمة...).

١٢- عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إن الله تعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله، دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، فأرسل الله إليها ملكا يسلي غمها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين عليه السلام، يكتب كلما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفا. قال: ثم قال: أما أنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون).

يتبين من خلال هذه الروايات أن مصحف فاطمة عليها السلام ليس قرآناً، وليس كتاب أحكام، فهو مغاير لكتاب علي عليه السلام الذي أملاه عليه رسول الله صلى الله عليه وآله، والذي ورد ذكره في أخبارهم عليهم السلام إلى جنب مصحف فاطمة، وسموه بالجامعة تارة والصحيفة أخرى وكتاب علي عليه السلام غالبا.

كما انه ليس ثمة أي رواية توهم كونه قرآنا، فضلا عن كونها ظاهرة في ذلك ليتمسك بها من يفتش عن المطاعن، وعلى فرض وجودها فإن الروايات المستفيضة الواضحة الصريحة والتي قدمنا طائفة منها تقتضي رفع ذلك التوهم أو الظهور لو تم وسلم.

فصل في مناقب فاطمة [٤]

ولكي تعم الفائدة لك أيها القارئ الكريم فقد ارتأيت أن اقدم لك زاداً هو خير الزاد فيما ورد بحق صاحبة الذكر وعن طريق العامة ليكون دعما للدليل واقوى في الحجة وادحض للاباطيل اذ ان ذات المرء دليل على على ما تعكسه الذات من الصفات.

فقد روى البخاري عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة) وروى مسلم عنه صلى الله عليه وآله أنه قال لها: (يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة) وهي سلام الله عليها ممن نزلت بهم آية المباهلة والتطهير وضمهم الكساء.

ومن الجدير بالذكر أن الوحي له أساليب وأغراض متعددة، ولا تلازم بين الوحي والنبوة، وإن كان كل نبي لابد أن يوحى إليه، وكذلك لا تلازم بين الوحي والقرآنية، فبالنسبة للرسول صلى الله عليه وآله لم يكن كل ما نزل عليه من الوحي قرآنا، فهناك الأحاديث القدسية وهناك تفسير القرآن وتأويله، والإخبار بالموضوعات الخارجية وأمثال ذلك، وكلها ليست قرآنا.

فاتضح أن تحديث الملائكة للزهراء سلام الله عليها لم يكن من الوحي

النبوي ولا من الوحي القرآني.

الدليل على عدم الملازمة بين تحديث الملائكة والنبوة:

اعلم عزيزي القارئ أنه ليس ثمة ملازمة بين تحديث الملائكة والنبوة فقد روى الكليني عن حمران بن أعين قال: قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: (أن علياً كان محدثاً)، فخرجت إلى أصحابي فقلت: جئتكم بعجيبة، فقالوا: وما هي؟ فقلت: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كان علي محدثاً، فقالوا: ما صنعت شيئاً، إلا سألته من كان يحدثه، فرجعت إليه.. فقال لي: (يحدثه ملك)، قلت: تقول: أنه نبي؟ قال: فحرك يده هكذا.

أو كصاحب سليمان أو كصاحب موسى أو كذي القرنين أو ما بلغكم انه قال: وفيكم.

وفي بصائر الدرجات : عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ألست حدثتني أن عليا كان محدثا؟ قال: (بلى) قلت: من يحدثه؟ قال: (ملك) قلت: فأقول: إنه نبي أو رسول؟ قال: (لا، بل مثله مثل صاحب سليمان ومثل صاحب موسى، ومثل ذي القرنين)، (أما بلغك أن علياً سئل عن ذي القرنين، فقالوا: كان نبياً؟ قال: لا، بل كان عبداً أحب الله فأحبه وناصح الله فناصحه).

وختاماً فقد تبين لنا أن مصحف فاطمة عليها السلام والذي كثر الكلام عنه ليس بقرآن بل هو كتاب جمع فيه علم جم أفاضه الله تعالى على سيدة النساء سواء ومن أي مورد كان سواء عن طريق الملك أم عن لسان أبيها صلى الله عليه وآله وكل ذلك هو عن الله تعالى والذي كرم أهل البيت عليهم السلام وشرفهم وفضلهم عن الخلق تفضيلاً، فلا سبيل للشك حينئذ وكيف يكون ذلك وان الله عز وجل قد خصهم بآية التطهير دون غيرهم (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) ■

---

(١) القران الكريم.
(٢) عبد الحسين شرف الدين ،المراجعات ، هامش المراجعة رقم ٤٨ ص ٣٨٧ / ط المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.
(٣) الفيروز آبادي: القاموس المحيط: مادة صحف.
(٤) الخليل، العين ٣: ١٠، وابن منظور، لسان العرب مادة صحف.
(٥) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن ١: ١٨٥، تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم.
(٦) جعفر مرتضى العاملي ،حقائق هامة في القرآن الكريم.
(٧) الصفار، بصائر الدرجات: ١٥٣، ط. المرعشي.
(٨) القطب الراوندي، الخرائج والجرائح ٢: ٥٢٦.
(٩) الكليني، الكافي ١: ٢٣٩و ١: ٢٧١.
(١٠) المجلسي، بحار الانوار ٢٦: ٣٩.
(١١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٤٩.
(١٢) الاميني، الغدير ٥: ٥٠ ٥١، نقلا عن الصراع بين والوثنية ١: ١ و٢: ٣٥.
(١٣) صحيح البخاري ٤: ٢٠٩، ٢١٩.
(١٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦: ٦ ٧ و ١٥: ١٦٦.
(١٥) سنن الترمذي ٥: ٥٨١.
(١٦) ارشاد الساري، شرح صحيح البخاري ٦: ٩٩، و٥: ٤٣١.
(١٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٧: ١١، و٤: ٢٨٨ ٢٨٩.
(١٨) ابن الجوزي، المنتظم ٦: ٨ و٩: ١٣٦.
(١٩) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٨: ٣٦٢.

قصيدة:

مولد الإمام الحسن (ع)

د. مجيد عبد الحميد ناجي •

الأرض تهـزج والأفـلاك تبتسم ... وصفحة المجد وشى لوحها القلم
وأشرقـت للهدى شمس يزينها ... نـور النبوة فانجابت بهـا الظلم
حتى السماء تراها وهـي ضاحكة ... بالبشر تزهو وبـالأفـراح تزدحم
والـروح عـاد فلاحت خلفه أمم ... مـن المـلائـك تقفو إثـرهـا أمـم
تتلو نشيد الهـدى والكون يطربه ... هـذا النشيد ويذكي شوقة النغم
ثم انثنت ترقص الأفـراح في طرب ... جـبريـل يخطر فيها وهـي تنتظم
جـاءت تحي أهيل الأرض حاملة ... لهـم بشائر خـير لـو بهـا علموا
والخلد قد فتحت أبـواب جنتها ... طـه أمـيـر حمـاهـا والمـلأ خـدم
وحيدر الطهر وضـاء الجبين على ... شـفـاهـه بسمة لـلـنـور ترتسم
تسأل الكون من ذا حين شاهده ... وراح مـن ذعـره الأحـلام تُتهم
إذ بصوت الهـدى يعلو فتسمعه ... كـل الـبريـة حتى مـن بـه صمم
الـيـوم شـبـل عـلي كـان مـولـده ... بشخصه مـن عـذاب الله نعتصم
سـبـط الـنـبـوة لمـا بـان مطلعه ... أعيى اللسان وخان المنطق الكلم
عـم الـبريـة نـور يـوم مـولـده ... فانزاح عن ناظريها الستر والعتم
بـحـر مـن المـجـد لا تـرتـاد لجته ... بـالخـير يـرغـو وبـالإيـمان يلتطم

من جاء ساحله ذو حاجة أبداً ... إلا وعاد وفي أفيائه النعم
ما عافه بشر إلا وقد خسروا ... ولا استجابوا له إلا وقد غنموا
كل البرية ترجو بر نائله ... وترتجيه ليوم فيه تحتكم

* * * * *

قد أسكرتني رؤى الذكرى وهيجني ... شوق إلى روضها يذكو ويضطرم
فرحت أسبح في أجوائها ثملاً ... وراح يسعى إلى أعتابها القدم
أنخت راحلتي في باب ساحتها ... ورحت أمسك بالوثقى واعتصم
فلاح لي نفر ضاق الفضاء لهم ... مثلي أتوها وفي أفياءها جثموا
فقلت أسال عيني هل ترى بشراً ... (أم أنه من خيالات الكرى حلم)
قالت رويدك لا تعجل فلست ترى ... إلا صواباً وما هم كل من قدموا
هذي منازل سبط المصطفى حسن ... إلى معالي ذراها ينتهي الكرم
لقد سقينا هواها رضعاً ونما ... على ولاء الهدى لحم لنا ودم
وسوف يبقى ولاء العهد ديدننا ... نمضي عليه إلى أن تبعث الرمم
قف بالبقيع ونادي أين من هدموا ... هذي القبور وآل المصطفى ظلموا
أليس هم سادة الدنيا وإن لهم ... في محكم الذكر ذكر في حديثهم
أم كونهم خير خلق الله قاطبة ... وأن بيت التقى والعلم بيتهم
أولاءهم سادة يسمو الزمان بهم ... فهل ذكرتم عن الأعداء كيف هم؟
يا سادرين بعيداً في جهالتهم ... وعن ضياء الهدى والصالحين عموا
والهادمين قبور الآل من سفه ... والبائعين إلى الشيطان دينهم
لقد زعمتم ضلالاً أنها بدع ... والله يعلم أن قد ضل زعمكم
وقلتموا شططاً، شرك زيارتها ... فيا لعمري لكم قد شطّ قولكم
وآية الود للقربى علانية ... فكيف بالله رفضاً صار حبهم
لا لن يكون فإن الدين حبهم ... رغم الدعاة وأن الكفر بغضهم
يا باب حطة ما لي غيركم أبداً ... يوم الحساب ومالي غير حبكم
فكيف تسطيع نارُ الحشرِ تحرقني ... وفي فؤادي سطور من ولائكم

الكذبة

قصة قصيرة

زهرة النرجس •

ينابيع

اندلعت الحرب... اندلعت هذا ما صرخ به والدي وهو يدخل الدار راكضاً... كان فزعاً مبهوتاً أدار التلفاز بيد مرتجفة سرعان ما ظهر المذيع وهو مرتدياً هنداماً جميلاً كان يتحدث بكلام عال وهو يقرأ البيان... يضغط على كل كلمة تخرج من فمه وكأنه يلوك الكلام... كنت لا أزال صغيرة عمري عشر سنوات حينما قامت تلك الحرب المشؤومة ورغم إني لا أفهم كيف وأين تدور، إلا إني كنت أدرك ما تخلفه من خوف وهلع في نفوس الناس ومنهم والدي...

الحرب... الحرب... لم أعي عنها شيء... إلا أني كنت أسمع والدي يتحدث بغرابة فهو يلعن تلك الحرب ومن كان السبب... وأحياناً يسيطر عليه الخوف وهو يتابع صور من المعركة.

تشابكت عليّ كل الأحداث والقصص والحكايا وحتى الأخبار... يا ترى أين العدو من الصديق؟! في المدرسة كانت المعلمة تقف بانتصاب وهي تردد بصوت عالٍ... فاتحة فمها بقوة... ردوا بعدي... قائدنا شجاع... جيشنا بطل... كنت أرددها برتابة... وأحياناً أحرك فمي دون النطق بها... أشعر أنها مهزوزة... وكل يوم كانت معلمتنا تحدثنا عن قوة الجيش واندحار العدو... يراودني إحساس أن تلك الحكايا خيالية... بل تعدت الخيال.

ورحت أبحث، رغم صغر سني وطفولتي التي كان يجب أن تنمو بعيداً عن تلك الفوضى... رحت ابحث في أكداس السجلات والجرائد التي لا ينفك والدي عن شرائها وتصفحها... أبحث عن الحرب التي خلفت الفزع في نفوس الآلاف من الناس... وكان يحتل الصفحة الأولى وبلا منازع... (الرئيس القائد البطل بلباسه العسكري الأنيق تزين صوره أنواط الشجاعة البسمة تعلو شفتيه... ثم بعدها صور لآلاف الضحايا... مقطعين... مرملين... مكبوبين على وجوههم... أشلائهم منثورة... وكأنهم دمى... عيونهم البيضاء تروي ألف حكاية وحكاية... كنت أحدق بالصور ساعات وأتفحصها ومن ثم أضمها إلى صدري بقوة... كنت خائفة... خائفة وشيء ما يوخز قلبي... ثم أرميها جانباً وأحدث نفسي... ما لي والحرب فلتقوم قائمتها أو لم أهتم لها...

أحياناً كان يستوقفني الرسم الكاريكاتوري الذي يصور العدو مهزوماً... والجيش يوجه له صفعات متتالية وكم من الانتصارات... كل شيء شل تفكيري... بل إني ما عدت قادرة على التمييز... والمذيع المهندم ذو الصوت الجهوري... والصورة والأخبار والمجلات... أكلها كذبة... وإن كانت يا لها من كذبة كبيرة عاش القائد... عاش الجيش... هذا ما كنا نردده وراء المعلمة صباح كل يوم... كانت تصرخ بقوة وكنت أحس أن حنجرتها تنط خارجاً... قلت لها ست ست هل هذه الضحايا والشهداء للعدو أم لنا وإن كان للعدو لم تضاعف حجم الشهداء فجارتنا فقدت زوجها، وقريبة لنا استشهد ولدها قاطعتني وهي ترمقني بنظرة قاتلة... اخرسي... ثم تابعت وهي تصرخ... عاش القائد... عاش الجيش...

ذات يوم دخل والدي إلى غرفتي...

منـــار... قالهـــا بصوت مرتجـــف... وكان الدمع يفيض من عينيه، ركضت نحوه ضمني إلى صدره بقوة قال بصوت خافت... طلبوني للجيش الشعبي... دفعني بحنان وهو يتحدث إليّ، ســـوف أرحل غداً إلـــى (زاخو) خنقته العبرة ضمني مرة أخـــرى وأجهش بالبكاء...

لم أر والـــدي بهذا الحال طوال عمري... الدمـــع يغســـل وجهـــه الحنـــون... والخوف ســـيطر على جوانحه فيما كان يرتعد فزعاً... أهي الحرب؟!

ألا يوجد جيش قوي... يحقق انتصارات متتاليـــة... وأبي معلم مثابر... ومجد وعليه أن يكون موقعه هنا وســـط تلامذته... ولما كان يبكي كالأطفال... لماذا... أي خوف هذا الذي تملكه... لم أنم تلك الليلة...

لا أعرف كيف نمت لأني صحوت فجراً ركضت نحو غرفة والدي... وجدت فراشـــه فارغـــاً وقد ترك عليه الســـيكار... خلف في قلبي وحشة غريبة. بكيت كانت أمي صاحية فضمتني وبكت...

مضـــت الأيـــام والليالـــي الموحشـــة... فصوت والدي اختفى... كل شـــيء لا طعم له بدونه وكنت كالغريبة بين الناس والمدرســـة وجدران البيت... مضى شهر وأول رسالة من والـــدي جاءت بيد صديق لـــه... كنت أتلقفها وأقرأها لأمي بشـــغف وأنا ألعق دمعي، كان يرســـل معها الجوز لي لأنـــي أحبه يقول إن زاخـــو مدينة جميلة يكثر بهـــا الجوز واللوز والطبيعـــة خلابـــة ثـــم رفد طرف الرســـالة (ادعولي بالسلامة).

اليـــوم الثامـــن من شـــباط ســـنة ١٩٨٧ الساعة الحادية عشر والنصف صباحاً...

كانـــت الســـماء تمطـــر بقـــوة... وحبات المطـــر نافذة غرفتـــي... لم أنم تلـــك الليلة. كنت أراقب الســـماء وهي تبكي وكان شيء أعلمها بالحزن قبلي...

هو العنـــوان بحـــد ذاته... تعالـــى صوتاً أجش أنزله رويداً... مهلاً... مهلاً... شـــيء ما خنقني والصوت أفزعني... كانا رجلان أنزلا صندوقاً خشـــبياً طويلاً ووضعـــاه أمام باب دارنا وكان بانتظارهم ســـيارة عسكرية على ما أظن... ربما كان أبي معهم... نثر الدمع في عيني... تمتمت... بابا... بابا...

ما كان كان بصدري تحقق وما كنت أهابه جاء ليطـــرق بابنا كذبة الحرب كبرت كبرت كبالون خرافـــي وانفجرت فخلفـــت ورائها آلاف الضحايا والأرامل والثكالى والأيتام... آلاف الأسرى والمعاقين والمفقودين...

وأبـــي... كان معلمـــاً... مثابـــر كان يحب تلامذته حتى أنه كان يضع لهم وسائل علمية جميلة بنفســـه من تهجي الحـــروف والعلوم والأرقام وغيرها وكنت أساعده فيها، وكان تلامذته يحيونه... حتى أنه جاء ذات مرة عملاً بالورد والهدايا وعلب الحلوى والشـــكولا، فقلت له مندهشـــة... ياه ما هـــذا كله، قال: إنـــه عيد المعلم، ثم ضحـــك... لماذا زج أبي في الحرب فهو ليس بجندي، مضت سنين عدة، وكبـــرت وعرفت ســـر الكذبة... التي كنت أبحث عنها هتافات الشـــعب للقائد لم تكـــن إلا كذبة... والمذيع المهندم الذي كنت أتباعـــه كذبـــة... والانتصـــارات والأهازيج والبيانـــات الرنانـــة كذبـــة أخـــرى. وصوت المعلمـــة المرتفـــع يكاد يشـــق فمها كذب... وبســـمة القائد البطل الشـــجاع أكبر كذبة... وصور أشـــلاء الضحايـــا والمعاقين وعيون الشـــهداء المنجمدة من الخـــوف والهلع... يا لها من كذبة...؟!

وأبـــي الحنون ذكراه لا زالت لا تفارقني كان آخـــر ذكـــرى لـــه الجـــوز والســـيكار والرسائل ■

قل.. ولا تقل

قل: أدى إليه حقه... ولا تقل: أداه حقه.

قل: أكد أقواله... ولا تقل: أكد على أقواله.

قل: هذه بئر... ولا تقل: هذا البئر ، لأن البئر مؤنثة.

قل: المصرف... ولا تقل: البنك.

قل: أنت مثل أبي... ولا تقل: أنت بمثابة أبي، لأن من معاني المثابة البيت، الملجأ، الجزاء.

قل: حِضن الأمهات... ولا تقل: حُضن الأمهات.

قل: أخطأ الصواب... ولا تقل: أخطأ عن الصواب.

قل: دُهش فلان... ولا تقل: اندهش فلان، لأنه لم يرد الفعل (اندهش) في كلام العرب.

قل: أرجو المساعدة... ولا تقل: أرجوك المساعدة.

قل: أرسل إليه كتاباً... ولا تقل: أرسل له كتاباً.

قل: لم يرقه هذا الأمر (لم يعجبه)... ولا تقل: لم يرق له هذا الأمر.

قل: بالرفاء والبنين... ولا تقل بالرفاه والبنين .

قل: سأل عن الأمر... ولا تقل :تساءل عن الأمر.

قل: فُك قيده... ولا تقل: فك سراحه.

قل: ينفذ هذا الحكم ابتداءً من... ولا تقل: يسري هذا الحكم ابتداءً من.

قل: استبانة... ولا تقل : استبيان.

قل: المناخ أو الجو... ولا تقل : الطقس .

قل: جاء وحده... ولا تقل : جاء لوحده.

قل: فلان مبهور... ولا تقل : فلان منبهر.

قل: أمعن في الأمر... ولا تقل: تمعن في الأمر.

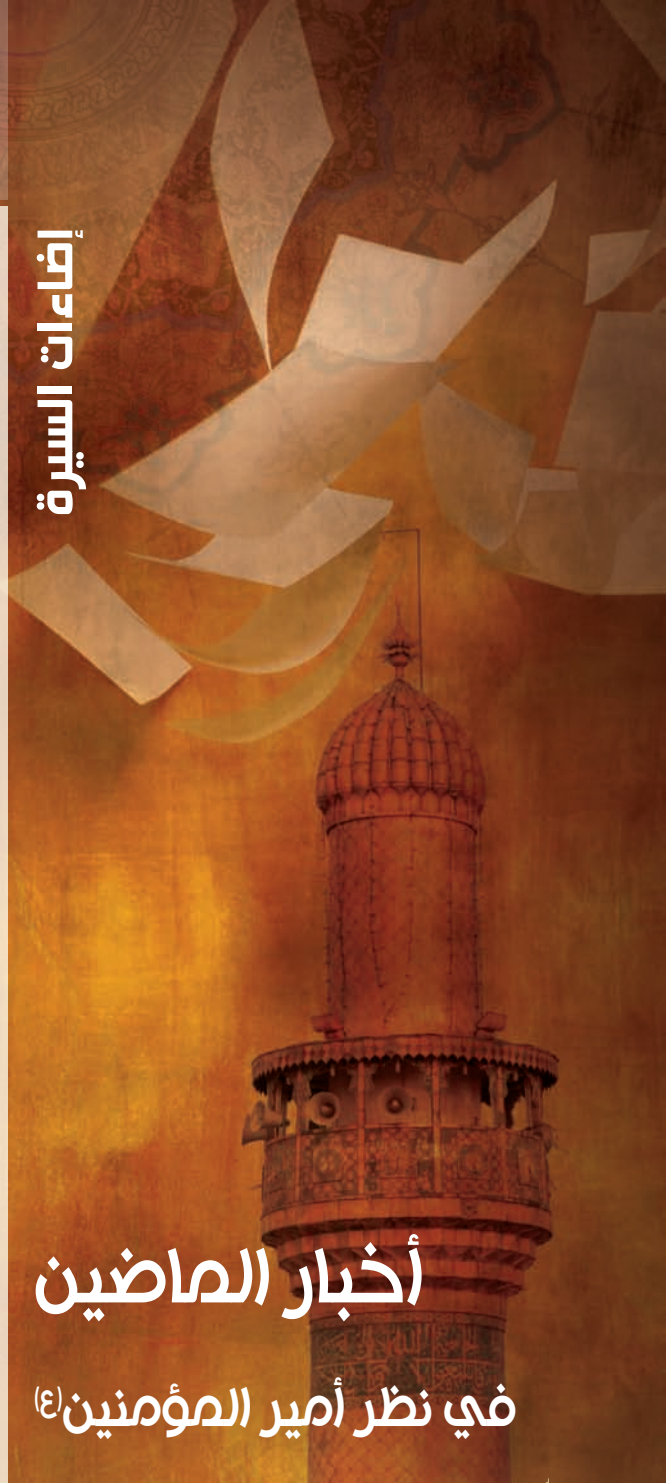

أخبار الماضين
في نظر أمير المؤمنين(ع)

• الشيخ حسن كريم الربيعي
كلية الفقه/ جامعة الكوفة

ينابيع

حاول الكثير تركيز ثقافة السلبية والابتعاد عن التاريخ بحجة الكذب والتلفيق والتزوير وربما انطلت هذه الخدعة على العديد من الناس وانطبعت في أذهانهم أن ما دوّن هو كذب وخداع وتم الحكم على التاريخ كعلم ينقل لنا الماضي بكل صوره الجميلة السارة والقبيحة المرة وأختلط مفهوم التاريخ بما هو مركوز في أذهان الغالب من الناس ولكن الغالب الذي حكموا عليه كان التاريخ السياسي لا التاريخ الاجتماعي أو تاريخ الأفكار والعبر، يبدو أن المقصود هو التاريخ الدول أو تاريخ الخلفاء والرؤساء والأمراء والقادة وغيرهم هم الذين كتبوا هذا التاريخ وقد حسنوا صورهم فيه أو ما يسمى بتاريخ المنتصر وهو الذي يغلب على كل تاريخ ومع كل هذا يمكن للتأمل أخراج الزيف والخداع منه وأن كان التعامل مع هذا النوع من الخطورة بمكان للتعارض بين الروايات بشكل يثير الاستغراب ولكن المنهج العقلي يكشف الحقيقة ويظهر بما هو أقرب للواقعية ويدفع الخيال ويرفع الأشكال.

أن الأشكال الرئيس في تناول أخبار الماضين هو ما الفائدة من استعراض الحدث التاريخي كما هو؟، ربما يكون الجواب أن لا فائدة من استعراض الحدث التاريخي كمعلومة تاريخية أرشيفية بوصف الحدث نفسه وقد أيد هذا الجواب العديد من الباحثين.

فلابد أذن من أن الحدث التاريخي ينظر إليه من جهات عدة ولحظات متعددة لاستخلاص العبرة والابتعاد عن المسلك الخاطئ لذلك قال أمير المؤمنين(عليه السلام) في وصية له مكتوبة لأبنه الإمام الحسن(عليه السلام) جاء فيها فيما يعرض على قلب الإنسان:

(وأعرض عليه أخبار الماضين)[1]، هذا النص الذي ذكره الإمام علي عليه السلام في وصيته يدل على أهمية هذا العرض وإلا لم ينبه عنه الإمام فله فوائد جمة، منها استشراف المستقبل بتجارب الماضين فأن الإطلاع على أخبارهم عبرة وعظة فيعد التاريخ من المصادر الوعظية للأمم والشعوب لذلك اهتمت به الدول المتطورة وتناولته بالتحليل والاستنتاج والرؤية المستقبلية للنهوض بمستوى الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتربوي.

وأخبار الماضين مطلق أي الأخبار والحوادث والوقائع التي مر بها الناس في حياتهم ولا يوحي التاريخ السياسي فقط بل التاريخ بأجمعه ومنه التاريخ الاجتماعي المغيب عن أذهان العديد من الباحثين وخاصة التاريخ الاجتماعي فيما يخص سيرة الأئمة عليهم السلام أي الوعي بسيرتهم فأنهم الأسوة في هذه الحياة بكل معانيها فأن عرض أخبار الماضين الصالحين والطالحين لأعظم عبرة ليس للفرد وحده بل للأمة والجماعة والمجتمع والشعب وغيرها من مفاهيم الاجتماع في عالمنا المعاصر.

ثم يذهب أمير المؤمنين عليه السلام مذاهب التاريخ النفسي ومدى تأثير الحالات النفسية وخاصة وأن العرض على القلب الذي ربما يرمز إلى العاطفة والتعقل والموازنة والمعيارية أو أنه هو الوجدان الذي قد يكون هو الدليل على الصحة وتحديد المسارات الحقيقية أو الأقربية منها أي الدخول في وعيه لا الخروج منه.

ركز الإمام عليه السلام على مسألة العرض والتذكير العرض على القلب وتذكيره بأخبار الماضين لذا قال عليه السلام: (وذكره بما أصاب من

كان قبلك من الأولين)[٢]، والتذكير حالة نفسية مصاحبة للعاطفة والتأمل والنظر وأثر ذلك في الوعي الاجتماعي كمردود اجتماعي يتغير به السلوك وهو نوع من التربية.

وربما أعطى الإمام عليه السلام معاني الدرس النظري أولاً ثم تحول إلى معنى الدرس العملي وهكذا يدرس التاريخ كعلم نظري وعملي كالعلوم الطبيعية وهو ما وعته المدارس العلمية المتطورة فاهتمت بمادتين نظري وعملي فقد حدد الإمام عليه السلام دراسة أخبار الماضين بنوعين:

١ـ الدراسة النظرية (التفاعل القلبي مع الحدث).

٢ـ الدراسة العملية (النظر في الآثار المادية ، الأطلال، الخطوط، المخطوطات...).

ففي الدراسة الثانية قال عليه السلام: (وسر في ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا واين حلوا ونزلوا...الخ)[٣].

هذا التحديد الوارد في النص الثاني يبين الفهم العملي الصوري لمخلفات الأحداث بل النظر المادي (الحسي) للإحداث الماضية ومخلفاتها وفيها أعلى معاني التدبر والعبر من النظر إلى الماديات والآثار والأطلال التي خلفها الأقوام أصحاب الحضارات السابقة ومادة تحكي قصة حياتهم بلا شخوص ملموسة بل آثار محسوسة تعبر بصمت عن الحقب الزمنية وما آل إليه مصيرها وهي من أعظم العبر عند الوقوف على تلك الآثار والنظر في الانتقال من حال إلى حال وهو ينطبق تمام الانطباق على حال الفرد أيضاً لذا نية الإمام عليه السلام بقوله : (وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم...)[٤] وهذه نتيجة للكبريات والصغريات من القضايا في هذا الوجود الممتلأ بالأسرار والعجائب فليس المنهج التجريبي المادي وحده من مصادر المعرفة فالعقل يدرك الكلية الغيبية أيضاً بالتأمل بالآثار والمخلفات وأن كانت صامتة لأنها تعبر عن حالة موجودة قد حدثت ثم أنها سوف تحدث لا محالة مثل انتقال الإنسان والحضارة من مكان إلى آخر ومن نتائج النظر والرؤية النظرية والعملية إصلاح المثوى وعدم بيع الآخرة بالدنيا كما هو مفهوم كلامه عليه السلام: (فأصلح مثواك ولاتبع آخرتك بدنياك...الخ)[٥]، وهنا يحدد الإمام مفهوم التاريخ والعبرة منه بإصلاح المسيرة للوصول إلى هدف أسمى يأمله أهل البصائر والقلوب ثم أن المعيارية في اختيار القرار الصحيح بعد النظر العملي الذي يسبق البعد النظري والعرض النفسي أن الآخرة أسمى مقاماً وأعلى قدراً من الدنيا فلا تركن للثانية وهو تحذير من مغبة الانتقال بدون العبرة والنظر ، ويعطي الإمام تجربته في الحياة بخصوص أخبار الماضين وكيف تعامل معها؟.

قال عليه السلام: (وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك مع كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل أمر نخيله (جليله) وتوخيت لك جميلة وصرفت عنك مجهولة...الخ)[٦].

هذا النص يبين عدة مفاهيم هي:

١ـ النظر في الأعمال.

٢ـ الفكر في الأخبار.

٣ـ السير في آثارهم.

٤ـ الاندماج المعنوي.

٥ـ الرؤية الكلية للأعمال (مع أولهم إلى آخرهم).

وانتهى النص بعدة نتائج هي:

١ـ معرفة الحقيقة الصافية.

٢ـ معرفة النافع والضار من الأعمال.

ويبدو أن النص يضع مفهوم التاريخ موضع اهتمام الفرد والأمة لتخطي العقبات التي قد تتكرر أو اختصار بعض الحلقات التاريخية والوصول إلى الأهداف بمدة أقصر والابتعاد عن أعادة تلك الحلقات وهو مبدأ التطور الطبيعي المادي والمعنوي، أن النص يشير إلى أن الإمام عليه السلام يهتم في النتائج أكثر من المقدمات النظرية والعملية وهو لا يهتم بالجزيئات بل يجب إيجاد القاعدة الكلية للرؤية التاريخية للأحداث وتمييز النافع من الضار ثم اختيار الصافي النافع من خضم التحولات والتراكمات المعرفية وتطورها في مجال الواقعي، وهنا يشير الإمام عليه السلام إلى النظرة الواقعية للأحداث والابتعاد عن الأسطورة التاريخية وتضخم الأحداث أو إضفاء هالة كبيرة أثناء تناول الشخصيات التاريخية ومعرفة ذلك بالعرض على القلب أو هو المنهج العقلي في تناول الأحداث التاريخية بعيداً عن التضخم والهالات غير الواقعية بالنظر إلى الأعمال أو نتاج المرء في حياته مع استعراض المشتركات بين الأفراد أي نظر البدايات والنهايات ولا تنفك المرحلة الأولى عن الأخيرة في أيجاد صورة جميلة واضحة أو مجهولة غير واضحة لذا يقول عليه السلام بعد نظرة إلى أخبار الماضين: (فاستخلصت لك من كل أمر نخيلة (جليلة) وتوضيت لك جميلة وصرف عنك مجهولة...)[٧]، وهنا يشير الإمام علي عليه السلام إلى مسألة مهمة في الدرس التاريخي التدبرية للأحداث عن طريقين:

الأول: الاستخلاص.

الثاني: التوخي (التحري).

ونظرية الاستخلاص هي رفع الزوائد والهوامش التي لا تنفع فيها والدخول في جوهر الأمور أو لبابها واعتمادها كمسار للحياة العامة للفرد والأمة فليس كل تاريخ يهتم به ويعتمد فأن التاريخ بإطلاق لفظه هو عالم واسع ينقل الثقافات المتنوعة والمتعددة للشعوب والأمم ومع هذا نفيه خطورة الانحراف والمزالق وبالأخص التاريخ السياسي الذي كتبه المنتصر ولبس فيه الباطل بالحق وزين ظواهر الأمور لإضفاء صفة الشرعية الحكومية والأحقية الحكمية.

أن التعامل مع التاريخ السياسي يحتاج التحري عن الحق ومعرفة الحقائق بالنظر في التاريخ الاجتماعي والنفسي وتاريخ تطور الأفكار لأن التاريخ المعرفي هو تاريخ الاجتماع وعوامل تطوره وانهياره أما تاريخ السياسة والحكم ففيه لبس كبير وعبره وعظة عظيمة لأن تغير الحكام والملوك ظاهرة عمت تاريخ البشرية السياسي بل أنه ظلم الأنسانية أكثره وقع من التاريخ السياسي ووصول الملوك والحكام إلى كرسي الحكم، وهنا ينبه أمير المؤمنين عليه السلام على تدبر أحوال هؤلاء والنظر في أوائل أمورهم وأواخرها وهنا يتدبر العاقل ما حل بهؤلاء فيعرف مواطن النفع ومواطن الضرر ويستخلص ويتحرى ما آلت إليه أمورهم من عواقب الأيام والدهور ■

---

(١) نهج البلاغة ص:٥٣٧ ، شرح صبحي الصالح.

(٢) نهج البلاغة، ص: ٥٣٧.

(٣) نهج البلاغة، ص: ٥٣٧.

(٤) نهج البلاغة، ص:٥٣٧.

(٥) نهج البلاغة، ص:٥٣٧.

(٦) نهج البلاغة، ص:٥٣٩.

(٧) نهج البلاغة، ص: ٥٣٩.

بين عصر الإمام الحسن (ع) وعصر الغيبة الكبرى

قراءة في.. أوجه التشابه والاختلاف

علي الفحام •

ينابيع

مثلت الفترة الزمنية الممتدة بين عامي ٤٠-٦٠هـ حقبة صعبة في تاريخ التشيع اختزنت بين طياتها كل تراكمات الماضي القريب وارهاصات الفتن التي عصفت بالأمة الإسلامية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوضحت مدى هشاشة الشخصية الإسلامية في علاقتها مع أئمة أهل البيت عليهم السلام بحكم قلة الوعي وعدم الاستيعاب الكامل للعقيدة القرآنية في التعامل مع مفهوم الولاية والطاعة لولاة الأمر المنصوبين من قبل الله تعالى.

لقد أظهرت تجربة الأربع سنوات التي خاضها أمير المؤمنين في الكوفة أن العقلية الكوفية تحتضن تناقضات فكرية حادة تكفي لإجهاض أي مشروع للتغيير مهما كانت خلفيته النظرية متينة (القرآن الكريم) ومهما كانت قيادته حكيمة ومخلصة (أمير المؤمنين عليه السلام).

والمتتبع لخطب أمير المؤمنين عليه السلام في نهج بلاغته يستشعر أن الإمام عليه السلام استنفذ كل وسعه في إصلاح رعيته المخدوعة بألوان الفتن فكان آخر أيامه يندب الخلّص من شيعته الذين مضوا قبله فينادي من على منبر الكوفة وهو يحرض الناس على القتال: (أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة... قال نوف [البكالي]: فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن

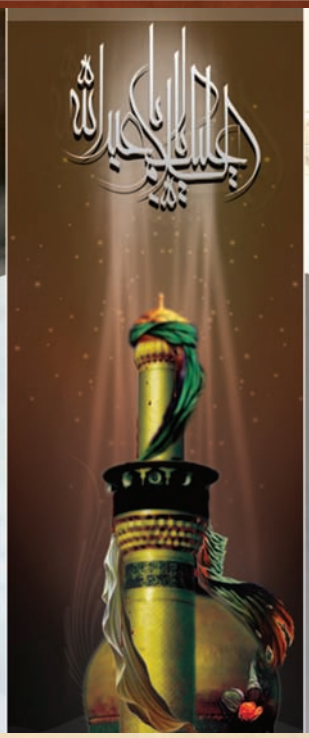

ملجم لعنه الله، فتراجعت العساكر فكنا كأغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان) «نهج البلاغة ٢١١٠».

ومن الطبيعي جداً أن تشكل وفاة أمير المؤمنين عليه السلام منعطفاً يترك بصمات خطيرة على واقع الأمة الإسلامية، وفسح هذا الغياب المفاجئ لأمير المؤمنين عليه السلام المجال لذوي الزيغ والأهواء أن يتحركوا بحرية أكبر مستغلين حالة الصدمة التي أصابت مفاصل البلاد الإسلامية مع ما تختزنه من انحطاط في الوعي وقلة الحصانة، فكانت الشام هي الحاضرة الأكثر حراكاً على المستوى الميداني في دفع الأمور نحو تصعيد الغرائز والعصبيات واستغلالها في تحقيق المكاسب السياسية.

حكمة القائد وشجاعة الموقف

لقد أدرك الإمام الحسن عليه السلام من اللحظات الأولى لاستشهاد أبيه أمير المؤمنين عليه السلام أن خطورة الموقف تستدعي تحركاً سريعاً لسحب البساط من يد الأمويين لمنع توجيه ضربة قاضية للبقية الباقية من المؤمنين، فاستبق الإمام عليه السلام الأحداث بتنظيم الصفوف وتعبئة العساكر وسد الثغرات جرياً على سياسة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام في سلوك خطين متوازيين من الحكمة والشجاعة.

ويبدو أن حالة التشرذم وصراع الإرادات وعقدة العصبية الجاهلية التي حكمت العقلية الإسلامية الفتية قد أصبحت من الخطورة بمكان بحيث يكون الحسم العسكري مع ذلك الخليط المتشظي ضرباً من الانتحار وسلوكاً نحو شطب الخط الإيماني من المعادلة، فكان القرار الشجاع والجريء للإمام الحسن عليه السلام بمصالحة معاوية بشروط هي أقرب إلى شروط الغالب المنتصر، يقول السيد شرف الدين العاملي في كتابه صلح الحسن ص٢٦٤: (ومن الحق إن نعترف للحسن بن علي عليهما السلام - على ضوء ما أثر عنه من تدابير ودساتير هي خير ما تتوصل إليه اللباقة الدبلوماسية لمثل ظروفه من زمانه وأهل زمانه - بالقابليات السياسية الرائعة التي لو قدر لها أن تلي الحكم في ظرف غير هذا الظرف، وفي شعب أو بلاد رتيبة بحوافزها ودوافعها، لجاءت بصاحبها على رأس القائمة من السياسيين المحنكين وحكام المسلمين اللامعين. ولن يكون الحرمان يوماً من الأيام، ولا الفشل في ميدان من الميادين بدوافعه القائمة على طبيعة الزمان، دليلاً على ضعف أو منفذاً إلى نقد، ما دامت الشواهد على بعد النظر وقوة التدبير وسمو الرأي، كثيرة متضافرة تكبر على الريب وتنبو عن النقاش).

لقد أظهرت ردة الفعل التي عبرت عنها الشخصيات المقربة من الإمام الحسن عليه السلام تجاه خطوة الصلح أن الحالة الشيعية لم تكن بعدُ قد وصلت إلى المستوى الحقيقي من الإيمان بمبدأ الولاية والتسليم للإمام عليه السلام، وربما كان الكثير من الشخصيات المحيطة بالإمام تنظر إليه من جانبه الأسري والأخلاقي لارتباطه برسول الله صلى الله عليه وآله ولنفس شخصيته الرفيعة التي استحقت لقب سيد شباب أهل الجنة، أما ما وراء هذا التصور من الإيمان بطاعته وإمامته المفترضة من الله تعالى، وأنه ينطق عن الله، ولا يعمل إلا بأمر الله، وأنه الحجة على كل الخلق فهذا ما لم يكن تستوعبه الأغلبية الساحقة من أتباع الإمام عليه السلام، ولهذا كان البعض ينظر للإمام من وجهة نظر ضيقة جداً تنطلق من المصالح المرئية دون ملامسة العمق الغيبي الذي يحكم قرارات الإمام و يؤطر كل حركاته وسكناته، وما تنقله النصوص التاريخية من الاحتجاجات أو الاعتراضات على وثيقة الصلح يكشف جانباً من هذه الحقيقة، وربما انقسمت تلك الاحتجاجات إلى قسمين:

الأولى: مثلها تيار الخوارج الذي كان ينشط بخلايا نائمة ضمن الحواضر والمجموعات الإسلامية والذي أعلن فتوى تكفير الإمام الحسن عليه السلام ونصها (كفر الحسن كما كفر أبوه من قبله) «الأخبار الطوال للدنيوري ٢١٦»، واتخذ الخوارج قراراً بتصفية الإمام فكانت محاولات اغتيال الإمام عليه السلام في (ساباط) جزءاً من هذا المخطط.

الثانية: مثلها بعض المخلصين من شيعته وأتباعه الذين لم يستطيعوا استيعاب قرار الإمام عليه السلام بخلفيته العقائدية الغيبية وتعاملوا

معه كما قلنا من المنطلق الشخصي الضيق، والنصوص التالية توضح بعض تلك الاحتجاجات:

* يقول الدنيوري في أخباره الطوال ص٢٢٠: وكان أول من لقي الحسن بن علي رضي الله عنه، فندمه على ما صنع، ودعاه إلى رد الحرب حجر بن عدي، فقال له: (يا بن رسول الله، لوددت أني مت قبل ما رأيت، أخرجتنا من العدل إلى الجور، فتركنا الحق الذي كنا عليه، ودخلنا في الباطل الذي كنا نهرب منه، وأعطينا الدنية من أنفسنا، وقبلنا الخسيسة التي لم تلق بنا). فاشتد على الحسن رضي الله عنه كلام حجر، فقال له (إني رأيت هوى عظم الناس في الصلح، وكرهوا الحرب، فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون، فصالحت بقيا على شيعتنا خاصة من القتل، فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإن الله كل يوم هو في شأن).

* قال المسيب بن نجية الفزاري وسليمان بن صرد الخزاعي للحسن بن علي عليه السلام: (ما ينقضي تعجبنا منك بايعت معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من الكوفة سوى أهل البصرة والحجاز!) فقال الحسن: كان ذلك فما ترى الآن؟ فقال: (والله أرى أن ترجع لأنه نقض العهد)، فقال: (يا مسيب إن الغدر لا خير فيه ولو أردت لما فعلت)، فقال حجر بن عدي: (أما والله لوددت انك مت في ذلك اليوم ومتنا معك ولم نر هذا اليوم فانا رجعنا راغمين بما كرهنا ورجعوا مسرورين بما أحبوا). مناقب ابن شهرآشوب ٣\١٩٧ .

* (واجتمع إلى الحسن وجوه الشيعة وأكابر أصحاب أمير المؤمنين علي يلومونه ويبكون إليه جزعًا مما فعله). مقاتل الطالبيين ٤٤.

* (السلام عليك يا مذل المؤمنين)

وهي من أشد وأجرأ العبارات التي قيلت للإمام الحسن عليه السلام من قبل بعض المخلصين من شيعته، واختلفت المصادر حول شخصية قائلها فأكثر المصادر تشير إلى (سفيان بن أبي ليلى الهمداني)، ويظهر من الروايات أنه ما قالها استهزاءاً أو إهانة وإنما بدافع الحمية غير المنضبطة (راجع: شرح النهج لابن أبي الحديد ١٦\١٦، الأخبار الطوال ٢٢٠، مقاتل الطالبيين ٤٤، الاختصاص ٨٢)، في حين أشارت مصادر أخرى أن قائل هذه العبارة هو (حُجر بن عدي الكندي) ولا تعارض بينهما لاحتمال تعدد القائل (راجع: الهداية الكبرى ١٩٢، اليقين لابن طاووس ٢٦، دلائل الإمامة ١٦٦)، وقد كشفت هذه العبارات من كبار الشخصيات الشيعية أن الواقع العقائدي لم يكن بمستوى النضج الكامل لإحداث تغيير شامل على مستوى البلاد الإسلامية وأن هناك فترة لا بد من اجتيازها للوصول إلى مرحلة الاندماج الكامل بين الإمام وشيعته.

إن الفترة التي عاشها الإمام الحسن ومن بعده الإمام الحسين عليهما السلام خلال حكم معاوية بن أبي سفيان في العقدين الرابع والخامس من القرن الهجري الأول (٤٠-٦٠هـ) تشترك مع عصرنا الذي نعيشه (زمن الغيبة

الكبرى) ببعض الصفات المشتركة نتيجة لوحدة الموضوع والتشابه في الظروف الحاكمة، وربما تختلف الغيبة الكبرى عن تلك الحقبة بما يلي:

أولاً: اختلاف الفترة الزمنية، ففي حين استمرت تلك الحقبة عقدين من الزمن، امتدت الغيبة الكبرى حتى يومنا أكثر من (١١٠٠) عام، وهذا يكشف أن حجم التغيير المنتظر من الغيبة الكبرى أكبر وأوسع مما كان متوقعاً من تلك الحقبة.

ثانياً: إن الإمام المهدي عليه السلام سيخرج وليس في عنقه بيعة لطاغية زمانه بخلاف الإمامين الحسنين عليهما السلام الذين أعطيا البيعة لطاغية زمانهما (معاوية بن أبي سفيان)، والبيعة في المفهوم العقائدي لأهل البيت عليهم السلام لا تعني الاعتراف بالشرعية أو الالتزام بالسمع والطاعة، وإنما تختص بالالتزام بعدم الخروج والسكوت عن المطالبة بالحق الشرعي للإمام عليه السلام، وهكذا تفهم بيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمن سبقه من الخلفاء وكذلك بيعات الأئمة لكل خلفاء الجور وحكام الضلالة الذين تعاقبوا على حكم البلاد الإسلامية، ويختص إمام زماننا من بين كل الأئمة عليهم السلام أنه يخرج وليس في عنقه أي بيعة لطاغية زمانه، يقول الإمام المهدي عليه السلام في توقيعه المشهور الذي خرج لإسحاق بن يعقوب: (وأما علة ما وقع من الغيبة فإن الله عز وجل يقول: (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم)، إنه لم يكن أحد من آبائي إلا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي) «غيبة الطوسي ٢٩٢».

وقد أوضح الإمام الحسن عليه السلام هذا المعنى لمجموعة من شيعته حين سألوه عن علة مصالحته لمعاوية، فقد روى الشيخ الصدوق عليه الرحمة عن أبي سعيد عقيصا قال: لما صالح الحسن بن علي عليهما السلام معاوية بن أبي سفيان دخل عليه الناس، فلامه بعضهم على بيعته، فقال عليه السلام: ويحكم ما تدرون ما عملت، والله الذي عملت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت، ألا تعلمون أنني إمامكم مفترض الطاعة عليكم وأحد سيدي شباب أهل الجنة بنص من رسول الله صلى الله عليه وآله عليَّ؟ قالوا: بلى، قال: أما علمتم أن الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وأقام الجدار وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصوابا، أما علمتم أنه ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم عليه السلام خلفه، فإن الله عز وجل يخفي ولادته، ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الإماء، يطيل الله عمره في غيبته، ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة، ذلك ليعلم أن الله على كل شئ قدير.

أوجه التشابه مع الغيبة الكبرى

وبالرغم من التمايزات الموجودة

بين الحقبتين إلا أن أوجهاً للتشابه يمكن أن تقرأ على خلفية العناصر المشتركة، ولعل التمعن في هذه العناصر يمكّن الباحث من فك بعض الرموز والعقد التي تحيط بالواقع المعاصر وتساعده في تفسير الكثير من المواقف التي يمكن أن يتخذها للتعاطي مع الوضع الراهن، وهذه النقاط المشتركة هي:

أولاً: إن كلا الحقبتين شهدت غياب الإمام الشرعي عن الساحة السياسية واتخاذ العزلة طريقاً للتعاطي مع الأحداث على خلفية انحطاط مستوى النضج العقائدي للأئمة، يقول الشيخ المفيد في الإرشاد ٢\١٥: (ولما استقر الصلح بين الحسن صلوات الله عليه وبين معاوية على ما ذكرناه، خرج الحسن عليه السلام إلى المدينة فأقام بها كاظماً غيظه، لازماً منزله، منتظراً لأمر ربه جل اسمه)، وهذه العزلة مشابهة من بعض الوجوه لحالة الغيبة التامة التي يعيشها الإمام المهدي عليه السلام منذ ألف ونيف من السنين، ويبدو أن هذه العزلة هي العلاج الناجع لحالة الاهتزاز العقائدي الذي دب في حسد الأئمة ـ ولا يزال ـ تحت تأثير السياسة وتيارات الانحراف الفكري، وتعمل العزلة في جانبين: الأول يستهدف تنمية الوعي وتعريض المجتمع لحالة من التصحيح الذاتي المعتمد على تراكم المعاناة وتنامي الصراع الداخلي مع قوى الانحطاط العقائدي، والثاني يستهدف تعرية الأنظمة الفاسدة التي

تحكم بأسماء وعناوين مختلفة وتحت شعارات متلونة للتغطية على الشرعية المستباحة لأهل البيت عليهم السلام.

ثانياً: صدور الأوامر من قبل الأئمة عليهم السلام في كلا الحقبتين بوجوب الكف والصبر وعدم الخروج على السلطان الجائر، وهذه الأوامر هي في الحقيقة انعكاس لحالة التبعية التي يجب أن تحكم العلاقة بين والشيعة وأئمتهم، والتي تعكس المفهوم السليم للتمسك الوارد في حديث الثقلين الشريف، وهذا المعنى مستفيض في صحيح الآثار المنقولة عن العترة الطاهرة، ومن تلك الروايات الشريفة:

* نهج البلاغة ١\١٨٩ – شرح محمد عبده: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى. فإن لبدوا فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا. ولا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا).

* في قرب الإسناد للحميري ٣٥٠: قال أبو جعفر عليه السلام: (إنما شيعتنا من تابعنا ولم يخالفنا، ومن إذا خفنا خاف، وإذا أمنا أمن، فأولئك شيعتنا).

* في الوسائل ٢٧\٧٣: عن الصادق عليه السلام أنه قال: (فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا، وتصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله، ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا).

* الوسائل ٢٧\٦٨: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (أمر الناس بمعرفتنا والرد إلينا والتسليم لنا ثم قال: وإن صاموا وصلوا وشهدوا أن لا إله إلا الله، وجعلوا في أنفسهم أن لا يردوا إلينا، كانوا بذلك مشركين).

وانطلاقاً من هذا التأصيل وحيث أن العزلة وترك التصدي كان هو الحاكم على منهجية الإمامين الحسن المجتبى والإمام المهدي عليهما السلام، فقد أصدر الأئمة أوامر مشددة لشيعتهم بوجوب التزام البيت وعدم الخروج في معمعة الصراعات السياسية المشتعلة بين الأحزاب الحاكمة سواء في تلك الحقبة الصعبة من حكم معاوية أو في زمن الغيبة.

أما في زمن معاوية فقد أوصى الإمام الحسين عليه السلام مجموعة من شيعة الكوفة، عقب توقيع وثيقة الصلح بين أخيه الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية، فقال لهم: (فليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته، ما دام هذا الإنسان حياً) يعني معاوية « الأخبار الطوال ٢٢٠».

أما في زمن الغيبة الكبرى فالروايات بهذا المعنى تصل إلى حد الاستفاضة وربما التواتر القطعي، وهذه نماذج من تلك المرويات الشريفة (راجع: غيبة النعماني ٢٠٠):

١ - عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (إنه قال لي أبي عليه السلام: لا بد لنارٍ من أذربيجان لا يقوم لها شئ، وإذا كان ذلك فكونوا أحلاس بيوتكم، وألبدوا ما ألبدنا، فإذا تحرك متحركنا فاسعوا إليه ولو حبوا، والله لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد، على العرب شديد).

٥ - عن أبي المرهف، قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام: هلكت المحاضير.

قال: قلت: وما المحاضير؟ قال: المستعجلون، ونجا المقربون، وثبت الحصن على أوتادها، كونوا أحلاس بيوتكم، فإن الغبرة على من أثارها، وأنهم لا يريدونكم بجائحة إلا أتاهم الله بشاغل إلا من تعرض لهم).

٦ - عن أبي بكر الحضرمي، قال: (دخلت أنا وأبان على أبي عبد الله عليه السلام وذلك حين ظهرت الرايات السود بخراسان، فقلنا: ما ترى؟ فقال: اجلسوا في بيوتكم فإذا رأيتمونا قد اجتمعنا على رجل فانهدوا إلينا بالسلاح).

١١ – وسائل الشيعة ١٥\٥١:، عن سدير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا سدير ألزم بيتك، وكن حلساً من أحلاسه، واسكن ما سكن الليل والنهار، فإذا بلغك أن السفياني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك.

١٧- أمالي الطوسي ص١٦٣: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما دخل سلمان رضي الله عنه الكوفة، ونظر إليها ذكر ما يكون من بلائها، حتى ذكر ملك بني أمية والذين من بعدهم. ثم قال: فإذا كان ذلك فالزموا أحلاس بيوتكم حتى يظهر الطاهر ابن الطاهر المطهر ذو الغيبة الشريد الطريد.

وكما شهدت هذه الهدنة المقرة من قبل الأئمة خروقات من بعض الشيعة في زمن معاوية فقد شهدت الغيبة الكبرى أيضاً خروقات لا مجال للتفصيل فيها.

ثالثاً: ومن أوجه التشابه المهمة أن كلا الحقبتين كانتا مقدمة للفتح الموعود، فحقبة معاوية مقدمة لملحمة عاشوراء التي كانت فتحاً بتصريح الإمام الحسين عليه السلام (أما بعد فان من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح) «كامل الزيارات ١٥٧»، وأما الغيبة الكبرى فهي مقدمة للفتح المبين الموعود على يد المنقذ الذي تنتظره الشعوب المقهورة والثلة المستضعفة في أرجاء المعمورة بعد امتلاء الأرض جوراً، عن الإمام الصادق عليه السلام: (يوم الفتح يوم تفتح الدنيا على القائم لا ينفع أحداً تقربٌ بالإيمان ما لم يكن قبل ذلك مؤمناً وبهذا الفتح موقناً، فذلك الذي ينفعه إيمانه، ويعظم عند الله قدره وشأنه..) «معجم أحاديث الإمام المهدي ٥\٣٤٥».

ومن هنا يبدو أن التشابه في المهام الموكلة للشيعة في هاتين الحقبتين ينطلق من تشابه في الهدف وفي الدور المرسوم، وأن الاختلاف في طول الحقبتين قد يعزى إلى اختلاف في سعة الدور التغييري المتاح لكلتيهما.

إن دراسة الحقبة التي عاشها الإمامان الحسنان في عهد معاوية بن أبي سفيان تؤكد للباحث أن ليس ثمة فروقات نفسية أو منهجية في العمل القيادي بين الإمام الحسن وأخيه الحسين عليهما السلام، وأن الشجاعة والحكمة التي امتلكها الإمام الحسن عليه السلام هي بعينها الشجاعة والحكمة التي توافرت في الحسين عليه السلام، فكلهم نور واحد، قال الإمام الصادق عليه السلام لأبي بصير: (يا أبا محمد كلنا نجري في الطاعة والأمر مجرى واحد..). «بصائر الدرجات ٤٩٩» ■

الشيخ علي القسام

(١٣٢٢ - ١٣٩٧ هـ)/ (١٩٠٤ - ١٩٧٩م)

جواد عبد الكاظم محسن •

اسمه ونسبه

هو الشيخ علي بن قاسم (جاسم) بن حمود بن خليل من آل قسام الأسرة النجفية الشهيرة التي تنتسب إلى قبيلة خفاجة من نسل عمران بن شاهين أمير البطائح (المتوفى سنة ٣٦٩هـ)[١]، وهو مؤسس الدولة الشاهينية، وصاحب الرواق المشهور في النجف برواق عمران بن شاهين الذي دخل قسم كبير منه في الصحن الحيدري الشريف، وصارت بقيته مسجداً دعي بمسجد عمران[٢].

أسرته

آل القسام أسرة عاملة متكسبة ؛

اشتهرت بإسم جدها (قسام)، وهي من الأسر السابقة في هجرتها القديمة العهد إلى النجف الأشرف، لكنها عرفت منذ أواخر القرن الحادي عشر الهجري، وبيدها تولية مرقد النبيين هود وصالح عليهما السلام، وقطنت محلة المشراق، ولها دور واسعة متعددة[٣].

وقال عنها الخاقاني في معرض ترجمته لأحد اعلامها وهو الشيخ جواد القسام (شقيق المترجم له): (أسرة نجفية معروفة، عربية النجار والنزعة، وقد انجبت مجموعة من الرجال عرفوا بحسن المواهب وسعة المدارك، وطيب السيرة)[٤].

نبغ من هذه الأسرة الكريمة عدد من الأعلام الفضلاء، ومنهم علم مشهورفي العلم والفضل هو العلامة الشيخ قاسم القسام (١٢٦٠- ١٣٣١هـ/ ١٨٤٤- ١٩١٣م)،

وهو والد المترجم له، وقد تحدّث عنه الشيخ محبوبة قائلاً: (هو مؤسس هذا البيت الأدبي وغارس نبعته والباني لمجده، أشاد بذكر اسرته وهيأ لها السمعة والإعتبار، كان من العلماء الماهرين في الفقه والحديث والرجال)[٥].

ونال الشيخ محمد علي القسام (١٢٩٠-١٣٧٣هـ/ ١٨٧٣-١٩٥٤م) وهو عم المترجم له شهرة واسعة، فقد كان خطيباً شهيراً، وسياسياً حراً، وشاعراً مقبولاً، وكانت له ملكة خاصة في تجسيم واقعة الطف وتحليها، وأوتي من حلاوة اللسان قسطاً فاق السحر في التأثير مع صوتي شجي، وحافظة قوية وإلقاء حسن، وقد استخدم المنبر الحسيني وواقعة الطف سلاحاً للتوعية والإرشاد والتوجية اثناء الثورة العراقية الكبرى سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م، إذ كان أحد رجالها وخطبائها المشهورين[٦]. وقد عدّه الخاقاني في الخطابة آنذاك (ثاني اثنين، فكان الأول صالح الحلي، والثاني هو ولكنه امتاز على الأول بإيجابيته فقد انحاز إلى جانب العلماء والمصلحين، وساند القوى الرصينة من أهل الفضل)[٧].

ولادته

ولد الشيخ علي القسام في مدينة النجف الأشرف سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م،

دراسته وأساتذته:

درس مبادئ العلوم الأولية على يد المحصلين من اساتذته، كالعلامة باقر الشخص الذي درس على يديه علم الأصول[٨]، كما درس بقية العلوم على يد عمه الخطيب الشيخ محمد علي القسام، وحضر دروسه العالية على المراجع الكبار

في الفتيا أمثال المرجع الديني الكبير السيد محسن الحكيم والعلامة السيد حسين الحمامي (قدّس سرهما الشريف) ودرس الأخلاق والعرفان لدى العلامة السيد علي القاضي.

تلامذته

تتلمذ على يديه جمع غفير من الأفاضل والعلماء المعروفين في مختلف الأصقاع الإسلامية، ونُقل لنا اسماء جملة من تلامذته المشهورين في مدينة النجف الأشرف والمدن العراقية الأخرى، وهم: السيد عز الدين بحر العلوم، والسيد علاء الدين بحر العلوم، والسيد عبد الحسين القزويني، والسيد فاضل عباس جمال الدين، والسيد كاظم القاضي، والشيخ عبد العالي المظفر، والشيخ محمد جواد بن الشيخ هادي المظفر، والشيخ هادي المظفر، والسيد صالح الخرسان، والخطيب السيد قاسم (جاسم) بن السيد حسن شبر، والسيد حسين اليعسوبي الأفغاني نزيل النجف، والشيخ حسين بن الشيخ علي الماجدي، والسيد عبد الجليل بن طاهر آل النبي، والسيد جعفر السنجاري (نسبةً إلى مدينة سنجار في شمالي العراق)[٩].

أما في مدينة المسيب فقد تتلمذ عليه مجموعة من أهل العلم والفضل ؛ نذكر منهم: المرحوم الشيخ مهدي حنتوش (١٣٤٨-١٤٢٣هـ/ ١٩٢٩-٢٠٠٢م)، والشيخ ناجي النجار المقيم في السويد حالياً، والسيد حيدر الحسيني، والدكتور عبد المجيد الناصر، والأستاذ عيدان كاظم، والأستاذ حسين عيسى، والسيد علي العلاق، والشيخ عبد الأمير النجار، وغيرهم الكثير.

سيرته

بعد أن أكمل الشيخ علي القسام دراسته وتحصيله العلمي، وبلغ درجة الإجتهاد ؛ تفرغ كلياً للبحث والتدريس، وكان يصرف معظم وقته في المطالعة والكتابة والقاء الدروس. وفي سنة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م أرسله المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم (قدس سره الشريف) إلى مدينة الكوفة، وبقي فيها حتى كلفه السيد الحكيم للمرة الثانية بالنزوح إلى مدينة المسيب ؛ بعد أن كثرت مراجعات أهاليها، وازداد إلحاحهم بطلبه، فاستجاب المترجم له لهذا التكليف الجديد، وغادر إلى المسيب في اليوم السادس عشر من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م، وقد جاء في وثيقة وكالة السيد الحكيم الموجهة إلى أهالي المسيب: (ولدنا العالم الفاضل المهذب الكامل التقي النقي الشيخ علي القسام دام تأييده وتسديده، وقد جعلته وكيلاً عني في جميع الأمور الحسبية التي لا يجوز توليها إلا للمجتهد الجامع للشرائط)[١٠].

وعندما هبط المسيب نزل داراً متواضعة وصغيرة مطلة على نهر الفرات في محلة الشيوخ على مقربة من الجسر الحديدي في المدينة، وأقبل الأهالي عليه فرحين ومرحبين بنزوله بينهم، والتفوا حوله، فسار بسيرته الحسنة التي عرف بها، وانتظمت صلاة الجماعة بإمامته يومياً. وقد ادركناه طويلاً، فرأيناه مثلما وصفه الشيخ جعفر محبوبة بقوله: (يمتاز بين اقرانه بالسكون والهدوء والنسك والصلاح، تقرأ على غضون جبينه سطور الإيمان والتقوى)[١١]. وورد وصفه واطراء

سجاياه الحميدة في مصادر أخرى[١٢].

وبعد رحيل السيد الحكيم (قدس سرّه) عن الحياة سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م؛ أقرّه خليفته المرجع السيد أبو القاسم الخوئي (نوّر الله مرقده) على وكالته في المسيب.

أعماله

قام الشيخ علي القسام بأعمال كثيرة ومهمة داخل مدينة المسيب، بل وامتدت أعماله إلى ضواحيها، وهي تشير إلى علو همته ووفرة نشاطه وسعيه المشكور في قيامها وانجازها. ومن هذه الأعمال:

١ـ تجديد وتوسيع جامع السعداوي (الفرات) سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

٢ـ تأسيس أول مكتبة عامة في المسيب سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، وهي مكتبة الثقافة الإسلامية من فروع مكتبات المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم (قدس سرّه) في عموم المدن العراقية، وقد جهزت هذه المكتبة بالمصادر والمراجع المتنوعة لمختلف العلوم والفنون، وفتحت أبوابها يومياً لكل طالب علم ومستفيد، وما تزال بنايتها قائمة ملاصقة لجامع السعداوي، وتحتاج من يلتفت إليها ويعيد الحياة إليها كي تؤدي دورها الذي أسست من أجله.

٣ـ تجديد عمارة مسجد الحاج حمزة الجواري (جامع الحسين في صوب البو حمدان) سنة ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م.

٤ـ بناء حسينية الإسكندرية سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٥ـ إنشاء حسينية أهالي المسيب في مدينة كربلاء المقدسة سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٦ـ اضافة قطعة أرض جديدة إلى الحسينية الكبيرة في مدينة المسيب سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

الشيخ القسام مع الإمام الحكيم قدس سره في ديوان الشيوخ بالمسيب سنة ١٣٧٩هـ

٧ـ الإعتناء بالمراقد الواقعة في ضواحي مدينة المسيب إذ كان له مسعى واضح ومشكور في تجديد عمارة مرقد ولدي مسلم بن عقيل عليهما السلام سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، واجتهاده الحثيث في بناء المرقد المنسوب محلياً للسيد ابراهيم بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[١٣]، وغيرهما من المراقد وتخصيص يوم اسبوعياً لزيارتها وإقامة صلاة الجماعة فيها.

آثاره العلمية

أصدر المترجم له كتاب عمّه الخطيب الشيخ علي القسام الموسوم بـ (الأخلاق المرضيّة في الدروس المنبرية) بعد أن حققه وعلق عليه، وأضاف إليه قصائد في رثاء أهل البيت عليهم السلام، والكتاب عموماً كما قال المؤلف في مقدمته (فصول أنيقة ومجالس مرتبة، وإن شئت فقل دروس منبرية واخلاق مرضية جعلتها نموذجاً للذاكرين ومهيعاً للراغبين؛ يسير على ضوئه الخطيب الأديب والواعظ الأريب)[١٤]، وقد ذكره العلامة الشيخ أغا بزرك الطهراني في طبقاته[١٥].

أما مؤلفاته الخاصة فقد طبع منها كتابان، هما: (السفر المطيّب في تأريخ مدينة المسيّب) المطبوع في النجف الأشرف سنة ١٩٧٤م، و(كتاب الدرتين في أحوال السيدين ابراهيم المجاب وابنه أحمد عليهما السلام) بتحقيق صاحب هذا البحث، وبقيت له مؤلفات أخرى لا تزال مخطوطة في مكتبته الخاصة التي انتقلت إلى نجله الدكتور قاسم القسام في بغداد، وقد عرفنا منها: تفسير سورة البقرة في جزء، وقصار السور في جزء آخر، ويبدو أن الشيخ كان يزمع تفسير القرآن الكريم كاملاً إلا أن المشاغل حالت دون تحقيق هذه الأمنية ثم جاءت وفاته بعد ذلك فأنهت العمل. وله أيضاً مخطوط بعنوان (أنيس الجليس) وهو كشكول منتخب، وكتاب آخر بعنوان (الجفر)[١٦].

شعره

ونظم الشعر إلا أنه كان مقلاً، ولم يعتنِ كثيراً بشعره أو يهتم بجمعه على عادة علماء الدين الذين يكرسون أغلب نشاطهم في خدمة المجتمع وارشاد افراده إلى كل ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، ويصرفون جلّ وقتهم في البحث الفقهي، وتوضيح المسائل الشرعية، وقد نشرت له بعض المصادر نتفاً من شعره في حقّ أئمة أهل البيت عليهم السلام ورثائهم[١٧].

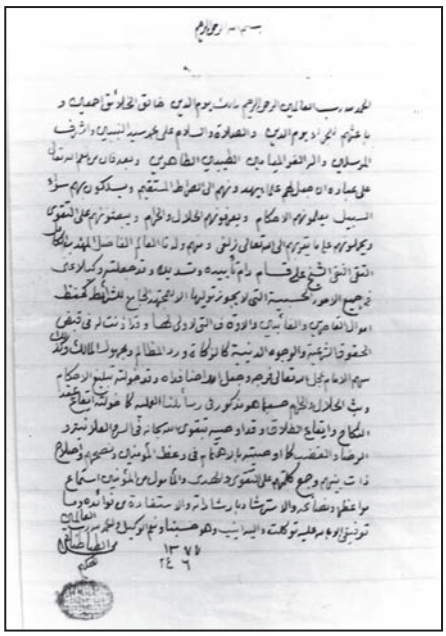

وكالة الإمام الحكيم للشيخ القسام

عقبه

أعقب الشيخ علي القسام ولدين اثنين، هما: الدكتور قاسم وهو رجل جليل من فضلاء الأساتذة الأكاديميين، ومتخصص بالتأريخ والحضارة الإسلامية، ونال شهادتي الماجستير والدكتوراه من معهد التأريخ العربي والتراث الإسلامي التابع لإتحاد المؤرخين العرب، واتخذ من العاصمة بغداد سكناً له، والثاني أياد الذي وافته المنية سنة ١٩٨٤م.

وفاته

اختاره الله تعالى إلى جواره الكريم في مدينة المسيب يوم العاشر من محرم الحرام سنة ١٣٩٧هـ الموافق لليوم التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٧٩م، وقد شيع بموكب مهيب من قبل أهالي المسيب والمدن المجاورة لها مشياً على الأقدام إلى كربلاء المقدسة، وبعدها سارت السيارات بموكب كبير إلى النجف الأشرف حيث أقام المرجع الأعلى السيد أبو القاسم الخوئي – قدس سرّه – صلاة الميّت عليه، وأعقبه العلامة السيد يوسف الحكيم – طاب ثراه - ثم تلاه نيابة عن جماعة العلماء العلامة السيد محمد علي الحمامي (نوّر الله مرقده) ثم دفن جنب اخوانه وافراد اسرته في مقبرة وادي السلام عند مقام النبيين هود وصالح عليهما السلام ■

---

(١) الدجيلي، عباس محمد الزبيدي: الدرر البهية في أنساب عشائر النجف العربية، بغداد ١٩٨٨م، ٧٩/١.

(٢) محبوبة، جعفر: ماضي النجف وحاضرها، النجف الأشرف ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م، ٨٥/٣ (الهامش).

(٣) المصدر نفسه ٨٥/٣.

(٤) الخاقاني، علي: شعراء الغري، النجف الأشرف ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، ٤٥٩/٢.

(٥) ماضي النجف وحاضرها ٨٩/٣.

(٦) المصدر نفسه ص ٨٩، شعراء الغري ٤٩/١٠. المطبعي، حميد: موسوعة أعلام العراق، بغداد ١٩٩٦م، ٢١١/٢. المرجاني، الشيخ حيدر: خطباء المنبر الحسيني، النجف ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ١٣٢/١. جابر، شاكر: من الأحرار (مقالة مكتوبة بالرونيو قرئت في ندوة الشعرباف ببغداد يوم ١٩٩٣/٢/١٨م).

(٧) شعراء الغري ٤٩/١٠.

(٨) القسام، الشيخ علي: السفر المطيب في تأريخ مدينة المسيب، النجف الأشرف ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص ٨٦.

(٩) محسن: جواد عبد الكاظم، تراجم علماء المسيب وخطبائها المنبريين، ص٩٠.

(١٠) المصدر نفسه، ص٩١. توجد صورة لهذه الوثيقة في ارشيف مكتبتنا الخاصة.

(١١) ماضي النجف وحاضرها ٨٩/٣.

(١٢) المرجاني، الشيخ حيدر: النجف الأشرف قديماً وحديثاً، بغداد ١٩٨٨م، ٥١/٢.

(١٣) يوجد مرقد آخر أكثرة شهرة للسيد ابراهيم بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب قرب مدينة الرميثة ذكره المحقق محمد حرز الدين في كتابه الشهير مراقد المعارف/ ، وذكره المحقق النسابة السيد حسين أبو سعيدة في كتابه المشاهد المشرفة/ .

(١٤) القسام: الشيخ محمد علي، الأخلاق المرضية في الدروس المنبرية، تحقيق الشيخ علي القسام، النجف الأشرف ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، ص٣.

(١٥) الطهراني: الشيخ آغا بزرك، طبقات اعلام الشيعة – القسم الرابع، النجف الأشرف ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ١٤٢٨/١.

(١٦) تراجم علماء المسيب وخطبائها المنبريين ص١٠١.

(١٧) المصدر نفسه ص١٠٤.

الشيخ محمد لائذ

(١٢٤٥ - ١٣٢٦ هـ)

الشيخ عقيل علي الزبيدي •

ينابيع اسمه ونسبه

الشيخ محمد اللائذ ابن الشيخ ناصر بن حسين الصيقل من آل عيسى الطائي[١].

لَقَبُ (اللائذ) عُرف به المترجم الشيخ محمد وجرى على أبنائه وأسرته، وقد عُرف بـ(لايذ) على لسان أهل النجف الاشرف، وعلة هذا اللقب كما ذكرها نجل المترجم لمعاصره الشيخ محمد حرز الدين رحمه الله حيث قال الأخير: (حدثني فضيلة الشيخ موسى نجل الشيخ محمد أن جده الشيخ ناصر لم يولد له من الذكور غير والده محمد واسماه (لائذ بالله)، و لما كبر لم يترك اسم الصغر وعرف بمحمد لائذ...)[٢].

وللشيخ جعفر آل محبوبة رأي آخر في منشأ هذا اللقب، وهو أن هذا البيت عرف ببيت لائذ نسبة إلى لائذ بن محيسن ابن الشيخ حسين، وهو الذي كفل الشيخ محمد ابن الشيخ ناصر فعرف به واشتهروا بالانتساب إليه[٣].

أقول: يظهر أن الأصح ما ذكره الشيخ موسى﵀ فإن أهل الدار أدرى بما فيه، ومهما يكن من أمر فإن المترجم ممن استغنى بالأدب عن النسب ـ مع رفعته ـ وكما قال الشاعر:

كن ابن من شئت واكتسب أدباً
يغنيك محموده عن النسب

ولادته ووفاته

ولد شيخنا المترجم سنة (١٢٤٥هـ) وتوفي ودفن بوادي السلام في جمادى الثانية (١٣٢٦هـ)[٤]، وخلف ولدين ـ على ما ذكره الشيخ حرز الدين ـ الشيخ موسى وكان فاضلاً ورعاً والشيخ محمد علي وكان أديباً كاملاً[٥]، ويظهر أن له ولدين آخرين هما جعفر ومحمد حسين بملاحظة ما كتبه الشيخ محمد اللائذ على ظهر كتاب الزبدة المخطوط بخطه الموجود في مكتبة السيد الحكيم﵀، ونصّ ما ذكره هو: تطوّل المنان على عبده محمد آل الشيخ ناصر بموسى ليلة النصف من رمضان سنة (١٢٨٧هـ)، ثم ترحم بجعفر صبيحة الاثنين ٥ ربيع الأول سنة (١٢٩٣هـ)، ثم غمر بفضله العميم عبده بمحمد علي ٢٧ جمادى الأولى سنة(١٣٠٢هـ)، وولد حسين ٢٧ رجب (١٣٢٦هـ)[٦].

علمه وفضله

الشيخ محمد اللائذ عالم فاضل أديب ماهر ورع[٧]، فقيه ثقة بحاثة حافظ ضابط ثبت، له الأدب الواسع والإحاطة الجمة في التاريخ والسير وأحوال العلماء ورجال الإسلام والملوك[٨]، وكان من المشاركين في العلوم لاسيما التفسير واللغة والأنساب والتاريخ، وكان أديباً شاعراً لا يَتظاهر به، فقيهاً أصولياً زاهداً فضائله كثيرة[٩].

كلام معاصريه فيه

١ـ الشيخ محمد حرز الدين (١٢٧٣ـ١٣٦٥هـ): قال رحمه الله ما نصه: (وكم استفدنا منه الأدب والتاريخ منادمة وكان منطيقاً ساحراً ببيانه، حديثه منزه من الفضول، يملأ السمع بالفوائد العلمية والأدبية والمقاطيع الشعرية انشاءاً وإنشاداً...)[١٠].

وقال أيضاً: (... وكنا نمشي حفاة على أقدامنا مع جمهرة من العلماء... ونحن جماعة منهم الشيخ محمد لائذ... وكان طريقنا مدرسة سيارة فيها الإفادة والاستفادة ذهاباً وإياباً ثم بعدها فرّق الزمان الخؤون بيننا وما احيلى تلك الذكريات الأدبية والدينية...)[١١].

٢ـ الشيخ أغا بزرك الطهراني (١٢٩٣ـ١٣٨٩): قال رحمه الله: إنه أدركه سنين وكان عالماً ورعاً جليلاً وشيخاً معمراً كبيراً أدرك جمعاً من العلماء الأعلام من صاحب الجواهر رحمه الله ومن بعده وكان يذكر كثيراً من قضاياهم وأحوالهم وكان من المنزوين في النجف مبتلياً بضيق المعاش[١٢].

أقول: وليس هذا بمستغرب فإن الله حرم الدنيا على أهل الآخرة، ومع قلة ذات اليد التي كان يتصف بها جل علمائنا الأبرار إلا أن الواحد منهم لم يكن يدخر جهداً ولا يفتر سعياً في إعمال قلمه وكثرة تصانيفه وما أحوجنا هذه الأيام أن نحذو حذو أولئك العظام جزاهم الله خير جزاء الكرام.

٣ـ ولده الشيخ موسى لائذ (١٢٨٧ـ١٣٦٧): وقد ذكر أباه في ترجمة مختصرة ذكرها الشيخ محمد علي الاوردبادي رحمه الله[١٣] وأعقبها بإيراد هذه الجملة: (أخذنا هذه الترجمة من خط ولده الشيخ موسى دام علاه في ٢٥ رجب سنة ١٣٥٦ يوم الجمعة مع اختصار لما كتبه)، وفيما يلي نص ما ذكره الشيخ الاوردبادي رحمه الله: (الشيخ محمد ابن الشيخ ناصر ابن الشيخ حسين الملقب بـ(لائذ) ولد سنة ١٢٤٥ وتوفي في جمادى الآخرة سنة ١٣٢٦ وتخرج على السيد حسين بحر العلوم، والشيخ راضي الفقيه والشيخ محمد حسين الكاظمي، والشيخ مهدي آل كاشف الغطاء. وله تعاليق وتآليف مختصرة في الفقه وأصوله والحديث وغيرها. وله كشكول برز منه جزءان فيهما فوائد مهمة. وله مجلد في وفيات الأئمة عليهم السلام وأحوالهم إلى الحجة (سلام الله عليه)، وفيه أحوال المختار في أخذ الثار وقد سمى ولده الشيخ موسى الكشكول بـ(اللؤلؤ المنضد) وقيل في تقريظه:

آيات إعجاز بها محمد
قد جاء أم لؤلؤه المنضد
ألفها محمودة آثارها
والمرء بالآثار منه يحمد
أبرزها يراعه معجزة
تعرب عن تفضيله وتشهد

وللمترجم الشيخ محمد مقرظاً شرح زيارة العاشور[١٤] للعلامة الأوحد الحاج الميرزا أبي الفضل الطهراني[١٥]:

أبو الفضل المفضل كان بدرا
تجلى من سما شرح الزيارة
فأوضح ما ادلهم لكل حر
(وإن الحر تكفيه الإشارة)
وكافح عصبة الإلحاد فيه
فأفحمهم و ألقمهم حجارة
وتاجر أحمد المختار فيه
فاربحه الجنان بذي التجارة

وله في الرد على بيتين هجا قائلهما ـ الناصب ـ الخاجه نصير الدين الطوسي قدس سره وهما:

فاق النصير بحسن تجريد له
لكنه فيه أساء الخاتمة

يا خاتماً بالقبح حسن كتابه
أو ما خشيت عليك سوء الخاتمة

قال المترجم ـ رحمه الله ـ يردّ عليه:

يا من تردى في الهجاء وقد غدا
يهجو فتى رفع الإله دعائمه
هذا الكتاب هو الرحيق ختامه
مسك وبالفردوس بشر خاتمه
ولحسنه قد أذعنت فضلاءكم
والمسلمون بفضله متسالمه
فتنافست أشياخكم في فهمه
تبت يداك فما ظننتك فاهمه
جزمت عواملة الرفيعة نصبكم
واجتر عاملكم فكسر جازمه
قاد الكتائب غازيا بغدادكم
بالمرهفات الحاكيات عزائمه
ضربت كتائبه الطبول فغادرت
(مستعصما) شلوا وهدت عاصمه
أزعمت أن أبا الحسين وجاحظا
وأبا الهذيل وواصلا ومسالمه
قد ميزوا أجناسه وفصوله
أم أحرزوا منطوقه ومفاهمه
هيهات لا تغشى النعامة بازيا
أو تستعير من البزاة القادمه
خذها إليك فما أتاك بمثلها
ركب الحجاز لمثل انفك راغمه

كان المترجم من المشاركين في العلوم لاسيما: التفسير واللغة والأنساب والتاريخ وكان أديباً شاعراً لا يتظاهر به، فقيها أصولياً زاهداً وفضائله كثيرة)[١٦].

وللشيخ والد المترجم قصة وقعت له في صباه حيث كان أبوه يحبه حباً شديداً وقد ألبسه قرطين وخلاخل ونحوهما من الفضة واتفق أنه ذهب والده إلى مسجد سهيل (السهلة) للاستجارة وحمله معه فغارت الأعراب على هذا الطريق وصار محمد من جملة المنهوبات وكان مرورهم على الرحبة فرأته امرأة من أهل الرحبة فاعتقدت أن هذا الصبي من الحضر وكانوا قد جعلوه في جلد كبش وأخرجوا رأسه منه لئلا يهرب ثم سألت الأعراب عن شأنه فقالوا: اختطفناه من ظهر النجف فاشترته منهم بمائتي شامي هذا وأبوه قد أرسل من يفحص عنه حتى انتهى الفحص إلى الرحبة فوقف على خبره وأعطى المرأة ثمنه وأكرمها بمثله أيضاً[١٧].

وهذه القصة بتمامها ذكرها الشيخ حرز الدين رحمه الله عن نجل المترجم الشيخ موسى لائذ.

جانب مما حكاه المترجم عن مشايخه

١ـ مرجعية الشيخ محمد حسين الكاظمي:

ذكر الشيخ حرز الدين رحمه الله في ترجمة السيد كاظم العاملي نقلاً عن الشيخ محمد لائذ ما نصه: (... وكان أهل الفضل في النجف عقدوا عليه آمالهم لما يجدونه منه من غزارة علم وزيادة فضل بهذا حدثنا العالم الخبير البحاثة الشيخ محمد لائذ النجفي وعنه أيضا أنه [السيد العاملي] هو السبب الوحيد في مرجعية الأستاذ الشيخ محمد حسين الكاظمي في بغداد ونواحيها حيث كان المترجم له يأمر الناس ويدعوهم إلى تقليد الأستاذ في السر والعلانية..)[١٨].

٢ـ ذرية الشيخ النحوي وذرية السيد بحر العلوم رحمهما الله:

كما ذكر الشيخ حرز الدين أن تواصلاً ووفاءً كان بين بعض ذرية الشيخ محمد رضا النحوي وذرية السيد بحر العلوم قدس سرهما ومن ذلك ما نقله عن الشيخ محمد لائذ قائلاً: (ومن ذلك ما حدثنا به الثقة المؤرخ البحاثة الشيخ محمد لائذ النجفي إنه لما

هجم جيش الوهابي في إحدى غاراته على النجف فتحصن أهلها بالحرب منهم على سور النجف الأولى لم يستطع الوهابيون ثم مالوا على مسجد الكوفة فقتلوا من في المسجد من المعتكفين والمصلين ونهبوا ما عليه وهربوا ولما أصبح اليوم الثاني قامت رجال من النجف مناهل النخوة والشجاعة حدود العشرة فوارس مسلحين وخرجوا مسرعين إلى مسجد الكوفة فوجدوا كل من فيه مذبوحاً في المحاريب عدا السيد رضا نجل بحر العلوم فلم يعثروا عليه ويوم إذ كان مريضاً نحيفاً عاجزاً عن المشي والهروب وبعد التنقيب الكامل علم أن رجلاً من أولاد الشيخ محمد رضا النحوي كان معتكفاً ولما أحس بالهجوم حمل السيد رضا على ظهره وخرج من الباب الثانية للمسجد الشرقية إلى ما فوق المسجد واختلفوا ببعض الأشجار المالحة من نحو الطرفاء والأثل القديم فسلما من القتل وحملوهما إلى النجف وكان فعل الشيخ النحوي لا يقدر بثمن حيث أنه بسببه حفظ نسل هذه الأسرة الجليلة بما فيها من العلماء والأعلام)[١٩].

٣- السيد باقر القزويني وضراوة الأسود:

وذكر الشيخ حرز الدين في ترجمة السيد باقر القزويني بعد أن وصف بعض أحواله (... بهذا حدثنا الثقة الجليل الحافظ المؤرخ الشيخ محمد لائذ النجفي وأفاد أيضاً أنه [أي السيد باقر القزويني] جلس يوماً لتدريس تلاميذه وهم مجتمعون حوله فرآهم في المناظرات العلمية والمذاكرات بينهم كأنهم أسود ضارية فلذلك ترك البحث وألزمهم باستماع دروس في علم الأخلاق ليلينوا في الكلام ثم يتفقهون وبعد مدة طويلة عاد إلى المكان الذي تركه في الفقه وواصل بحثه...)[٢٠].

٤- مراثي السيد بحر العلوم رحمه الله:

نقل الشيخ أغا بزرك رحمه الله بعض ماحكاه الشيخ محمد لائذ عن بعض مشايخه الذين أدركهم أنه كان يقول: (إن آية الله السيد مهدي بحر العلوم الطباطبائي لما سمع المراثي المشهورة بـ(دوازده بند) للشاعر المخلص لأهل البيت عليهم السلام المتخلص بمحتشم الكاشاني الذي أوله: (باز أين جه شورش آست كه در خالق عالم آست) فأعجبه مضامينه العالية فأخذ هذه المضامين ونظمها بالعربية في مراثيه المعروفة التي أولها:

الله أكبر ماذا الحادث الجليل[٢١]...الخ)[٢٢].

أساتذته وشيوخه

تخرج الشيخ محمد اللائذ على جملة من أكابر الفقهاء ومنهم:

١- الشيخ راضي ابن الشيخ محمد النجفي قدس سره.

٢- الشيخ مهدي ابن الشيخ علي آل كاشف الغطاء قدس سره.

٣- الشيخ محمد حسين الكاظمي قدس سره.

٤- السيد علي الطباطبائي آل بحر العلوم قدس سره.

٥- السيد حسين الطباطبائي آل بحر العلوم قدس سره.

٦- السيد كاظم العاملي قدس سره.

٧- الشيخ محسن خنفر قدس سره[٢٣].

معاصروه

عاصر الشيخ محمد اللائذ كوكبة من أساطين الطائفة ورجالاتها ممن بلغوا مراق عالية علماً وتقوى[٢٤]، ومنهم:

١- الشيخ محسن خنفر قدس سره.

٢- الشيخ ملا علي الخليلي قدس سره.

٣- الشيخ ميرزا حسين الخليلي قدس سره.

٤- السيد محمد الهندي قدس سره.

٥ـ السيد علي الهندي قدس سره.
٦ـ الشيخ محمد طه نجف قدس سره.
٧ـ السيد محمد كاظم اليزدي قدس سره.
٨ـ الشيخ أحمد آل كاشف الغطاء قدس سره.

مؤلفـاتـه

ذكر الشـيخ حرز الدين رحمه الله أنـه ألّف في الفقـه والأصـول مجلدات،وفـي الحديث كراريس[٢٥]، وله:

١ـ ذكـرى الأمـة فـي وفيـات الأئمـة المعصوميـن ووفياتهـم تقـع فـي مجلدين ويسـمى بـ(الذكرى) ، ذكر الشيخ أغا بزرك إنها تقع فـي مجلد كبير عنـد ولده الفاضل الشيخ موسـى[٢٦]، وقد يكون المجلد الكبير حاوي على جزئين.

٢ـ شرح الزيارة.

٣ـ ولـه مجموع نحو كشـكول البحراني سـماه اللؤلؤ المنضد في المسـودة بخطه، وقد ذكر لنا أسـتاذنا المحقـق أحمد الحلي أن الشيخ المترجم استنسخ نسخة من كتاب والده الكشـكول والمسمى باللؤلؤ المنضد، ونسـخة جزء منه كانت في مكتبة الشيخ أغا بـزرك الطهرانـي رحمه الله ومصورتهـا موجودة عند الشـيخ فلاح لائذ، وجزء آخر كان عند الشـيخ فرج الله الأسـدي وانتقل إلى مكتبة الإمام الحكيم قدس سره ■

---

(١) معارف الرجال، ٢/ ٣٧٩، نقباء البشر، ١٢٤٥.
(٢) معارف الرجال، ٢/ ٣٧٩ .
(٣) ماضي النجف وحاضرها، ٣/ ٥٢٢.
(٤) نقباء البشر، ٢٩٠.
(٥) معارف الرجال، ٢/ ٣٨١.
(٦) نبـه إلى هذا الأمر حفيد الشـيخ حرز الدين في هامش ص٣٨١ من معارف الرجال ج٢.
(٧) نقباء البشر، ٢٩٠.
(٨) معارف الرجال، ٢/ ٣٧٩.
(٩) موسوعة الأوردبادي رحمه الله قسم التراجم.
(١٠) معارف الرجال، ٢/ ٣٧٩.
(١١) معارف الرجال، ٢/ ١٠٣، وهذا المشـي كان في الطريق الى كربلاء لزيارة سيد الشهداء صلوات الله عليه.
(١٢) نقباء البشر، ٢٩٠ .
(١٣) أوقفنـا على هـذه الترجمة بيد المنـة والفضل أسـتاذنا المحقق أحمد علي الحلي من موسوعة الشـيخ الاوردبادي رحمه الله وهي لا تزال تحت تحقيق سبطه العلامة السيد مهدي الشيرازي حين كتابة هذه الأوراق.
(١٤) ذكـر هذا الكتاب الشـيخ اغا بـزرك الطهراني واسـمه (شـفاء الصـدور)، (ينظـر: الذريعـة: ١٣/ ٣٠٧).
(١٥) ذكر الشيخ جعفر آل محبوبة أن هذه الأبيات في أبي الفضل العباس عليه السلام، وهو من سهو القلم الذي لايخفـى على الناظر في الأبيات . (ينظر: ماضي النجف وحاضرها : ٣/ ٥٢٣).
(١٦) موسوعة الشيخ محمد علي الغروي الاوردبادي قسـم التراجم وهـي كما نوهنا سـابقا لا تزال تحت التحقيق حين كتابة هذه الترجمة.
(١٧) معارف الرجال، ٢/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠.
(١٨) معارف الرجال، ٢/ ١٦٤.
(١٩) معارف الرجال، ٢٨١ـ٢٨٢.
(٢٠) معارف الرجال، ١/ ١٢٣.
(٢١) كذا في المصدر والصحيح هو:
الله أكبر مـاذا الحادث الجـلل
فقد تزلزل سهل الأرض والجبل
(٢٢) نقباء البشر، ١٩١.
(٢٣) تحصل لدينا أن الشيخ والد المترجم تتلمذ على الشـيخ محسـن خنفر من ترجمة الشيخ محسن التـي أوردها الشـيخ حـرز الديـن رحمه الله. (ينظر، معارف الرجال، ٢/ ١٧٧، ٣٨٠).
(٢٤) بعضهـم تتلمـذ عليـه وبعضهم حضـر معه في حلقات الـدرس ومن ذكرناه مـن كتاب معارف الرجال، ٢/ ١٧٧.
(٢٦) معارف الرجال، ٢/ ٣٨٠.
(٢٦) نقباء البشر، ٢٩١.

آداب الطعام والشراب

لقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام في آداب الطعام أمور ، فيستحب:

* غسل اليدين معاً قبل الطعام وبعده.
* المسح بالمنديل بعد الغسل الثاني، وترك المسح به بعد الغسل الأول.
* أن يسمي عند الشروع في الأكل بأن يقول: (بسم الله الرحمن الرحيم).
* الافتتاح بالملح والاختتام به.
* الأكل باليد اليمين.
* غسل الثمار بالماء قبل أكلها.
* أن يحمد الله تعالى بعد الفراغ من الأكل.
* (إذا كانت وليمة) أن يبدأ صاحب الطعام بالأكل، وأن يكون آخر من يمتنع.
* أن يأكل بثلاث أصابع أو أكثر ولا يأكل بإصبعين.
* أن يأكل مما يليه إذا كان مع جماعة على مائدة، ولا يتناول من قدام الآخرين.
* تصغير اللقمة وتجويد المضغ.
* طول الجلوس على الموائد وطول الأكل.
* لعق الأصابع ومصها.
* الخلال بعد الطعام وأن لا يكون بعود الريحان وقضيب الرمان والخوص

والقصب.

ويكره أمور:

* الأكل على الشبع.
* التملي من الطعام.
* النظر في وجوه الناس عند الأكل على المائدة.
* أكل الحار ، والنفخ على الطعام والشراب.
* انتظار غير الخبز إذا وضع الخبز ، وقطع الخبز بالسكين ، وأن يوضع الخبز تحت إناء ويوضع الإناء عليه.
* المبالغة في أكل اللحم الذي على العظم.
* تقشير الثمرة ، ورمي بقية الثمرة قبل الاستقصاء في أكلها.

وأما في الشرب ، فقد ورد استحباب:

* أن يشرب الماء مصّاً لا عبّاً.. أن يشرب قائماً بالنهار.
* أن يسمي عند الشروع ويحمد الله بعد الفراغ.
* أن يشرب بثلاثة أنفاس. * التلذذ بالماء
* أن يذكر الحسين عليه السلام وأهل بيته ويلعن قاتله بعد شرب الماء.

ويكره أمور:

* الإكثار من شرب الماء.. شرب الماء بعد أكل الطعام الدسم.
* الشرب باليسار ، والشرب من قيام في الليل.

يستحب استحباباً مؤكداً سقي المؤمن وإطعامه ودعوته إلى الطعام، فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: (من سقى مؤمنا من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم).

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سقى مؤمنا شربة من ماء من حيث يقدر على الماء أعطاه بكل شربة سبعين ألف حسنة، وإن سقاه من حيث لا يقدر على الماء فكأنما أعتق عشر رقاب من ولد إسماعيل).

طروحات عامة

أثر النص المقدس في اتخاذ القرار المعماري

الحلقة الثانية

- **د. عبد الله سعدون المعموري**
  قسم الهندسة المعمارية/ الجامعة التكنولوجية
- **م. محاسن هادي خلف**
  استشاري وباحث/ وزارة الإعمار والإسكان

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) (سورة النحل الآية ٨٠).

ينابيع

يستلهم المعمار المسلم قراره على مستوى التشكيل المعماري والتصميم الحضري حسب الإدراك والفهم لمعاني وأبعاد النصوص القرآنية المقدسة والأحاديث الشريفة كأحد المعايير والضوابط التصميمية

إضافة للأبعـاد الوظيفية والرمزية للعمارة بما لا يتعارض مع فطرة الانسان والحفاظ علـى البيئة الطبيعيـة والخصائص المكانية الملبيـة للحاجـات الروحيـة والماديـة للانسـان والمولدة لمجموعـة من المعاني التعبيريـة والمفاهيـم القيمية التي تضيف لذلـك قيمـاً اساسـية تترجم إلـى أنماط حياتيـة وتنظيمية وفق حلقـات تتكامل مع الزمـن تحمـل في طياتهـا عمقـاً زمنياً و بعـداً غيبياً متصلاً بالوحي الإلهي مترجمة ذلك إلى وسـائل تُترجم إلى نظام منطقي متوازن ذي مكامـن أصيلة، ويقود البحث في تلك النصوص المقدسة إلى استكشاف النظريـات والأفـكار المعمارية المعاصرة والتواصـل مـع ثقافـة الآخـر ومحاولـة استثمار الجوانب الايجابية فيها بمزاوجته مع خصائص العمارة الإسلامية، فالعمارة الإسـلامية قائمـة على التـوازن والتكامل والوحدة في بنيتها وتشكّلها باعتبارها جزء من نسيج متشـابك ينبع من وحدة العقيدة الإسـلامية التـي تهدف إلى حفـظ الدين والنفـس والعرض والعقـل. فليس القرآن الكريم كتابا هندسـياً أو معماريـاً، بل أنّه كتاب الهدايـة والحكمة، لكنـه ينطلق من الرؤية التوحيدية التي تتجسـد في مختلف جوانب السلوك الإنساني، فيعتبر العمران نظـام قيـم، وعـدم اعتباره ركـون المال والثروة والتباهـي بالقصور، وهو المعيار فـى التقييم فالزخارف و الأسـرّة الفضية والسـلالم الكثيـرة والنقـوش والقصور والبيـوت الفخمـة ليسـت هـى المحـدد والمقياس لشخصية الإنسان ومقامه.

المحور الأول: مبادئ العقيدة المؤثرة على اتخاذ القرار المعماري

وهي المبادئ المسـتمدة مـن العقيدة الإسـلامية لمـا لها مـن أثر فـي القرار التصميمي.

١ـ الوحدة والتوحيد:

الوحـدة ميـزة مهيمنـة وواضحـة في

العمارة الإسلامية، وهي متأتية أصلاً من وحدة الإله (و إِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّـةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (سورة الأنبياء/ الآية ٩٢) و(إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ) (سورة النحل/ الآية ٢٢)، يقول أبو حيان التوحيدي: (أنا أعوذ بالله من صناعة لا تحقق التوحيد، ولا تدل على الواحد، ولا تدعو إلى عبادته، والاعتراف بوحدانيته، والقيام بحقوقه، والصبر على قضائه والتسليم لأمره). ولكن هذه الوحدة لا تعني مطلق التشابه (بمعنى التطابق)، ومن هنا كانت عملية التنوع والاختلاف، بنتيجة المفاهيم المتغيرة في إطار المفاهيم الثابتة. وبذلك خرجت نتاجات العمارة الإسلامية في أماكن تبعد عن بعضها الاف الأميال، وبينها فترة بضعة قرون، تكاد تشبه بعضها البعض دون أن تتطابق، وإنما هناك شيء من التباين الذي تحمله كل بيئة، وتختص به دون غيرها، ولكن دون أن تخل هذه المفارقات بوحدة الفن الإسلامي المستمدة من وحدة العقيدة الإسلامية التي كانت الأساس الذي ساد الفكر الإسلامي وذلك انطلاقاً من وحدانية الله.

٢ـ الخصوصية:

حدد الإسلام الأسس والقواعد الخاصة بعلاقة الفرد بالمجتمع موضحا نظام حياته وطريقة عيشة فترك ذلك بصماته الواضحة على شكل وملامح وعناصر العمارة والعلاقات بين هذه العناصر، فقد أكد الإسلام على الخصوصية في المسكن حيث يمثل للإنسان طبقة الجلد الثالثة معتبره الغلاف الثالث والملابس تمثل للإنسان طبقة الجلد الثانية، تعيش وتتعايش الأسرة في خصوصية وطمأنينة، وقد تجلى ذلك في سورة النحل (وَاللّه جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا...). واختص الله المسكن بالرعاية والاحترام ليس لما هو كعمارة، ولكن لمن فيها من سكان، وتتحقق هذه الخصوصية في، المدخل المنكسر، الانفتاح على الداخل سواء في المسكن الخاص أو المساكن العامة والتي انتظمت عناصرها ووحداتها حول فناء، التدرج في الخصوصية من الخاص إلى العام. وإذا كان هذا النمط المعماري قد وجد في الحضارات السابقة فلأنه يوفر فوائد مناخية إلا أنه في الحضارة الإسلامية يلبى

بالدرجة الأولى احتياجات الإنسان المسلم المتأثرة بالنص المقدس.

٣ـ البساطة والاختزال:

وتشكل سمة بارزة من سمات العمارة العربية الإسلامية، حيث يستمد القرار المعماري من جوهر مباديء الدين الاسلامي من حيث البساطة وعدم المبالغة مع ضمان حفظ الخصوصيات وتحقيق التفاعل الاجتماعي من منطلق النص القرآني (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)(سورة لقمان / الآية ١٨) الذي يتجلى في بساطة تصميم المسكن مما يوحي بالسكينة والإطمئنان، حيث لا تعني البساطة في هذا الإطار التبسيط والاختزال في الجوانب الكمية المجردة بل تشمل مجمل الاحاسيس والانطباعات التي لاتنطلق من القيم الكمية المجردة والتكوينات والمفردات الحجمية او اللونية او الشكلية، وانما هو نتاج طبيعي لدرجة الشد والترابط والاتزان بين مفردات النتاج بما يجعله ثرياً بالمعنى، غنياً بالهيئة، حيث إن لكل جزء وظيفة ولكل عنصر هدف يترك في ذهن المتلقي إدراكاً آنياً دون تكلف. وإن الوصول إلى نقطة التوازن بين المفردات المكونة للنتاج هي من صفات الإبداع والتميّز والتأثير على أحاسيس المتلقي.

٤ـ الزهد في الإسراف:

رسم الإمام علي عليه السلام خطابا أخلاقيا زاهدا من خلال حالتين هما، الاعتدال في العيش دون الحرمان من الطيبات وهذه لعامة الناس، واختيار الفقر والحرمان للأئمة مستنداً على ما جاء في الآية الكريمة القرآني (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا)(سورة الفرقان/ الآية ٦٧)، وانعكس الزهد في العمارة من خلال التعامل مع العناصر المادية ومع الخصائص المناخية سواء كان ذلك على صعيد الفكرة التصميمية، أو على صعيد استعمال مواد البناء، أو على صعيد التفاصيل الكامنة ضمن البنية الأساسية للمباني نفسها، فحضور عنصر الروح في القرار التصميمي جزء

مـن الحل وليس الحل كلـه، فالعمارة التي تعتمد مبـدأ التواضع والزهد في فلسـفة التصميم يُدرك فيهـا الالتزامات المحددة في العلاقة المباشرة بين الإنسان وعمليات الطبيعة، وباعتبار أن المسـكن من المعالم القوية للتحضر البشـري ودليل مادي على الاسـتقرار والتعايش فقد جاء في سـورة القصـص (وَكَـمْ أَهْلَكْنَا من قَرْيَـةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَـتَهَا فَتِلْـكَ مَسَـاكِنُهُمْ لَمْ تُسْـكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ)(سورة القصص/ الآية ٥٨).

٥ـ الإخلاص:

(إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)(سورة الكهف/ الآية ٧)، فالعمارة في الثقافة الإسـلامية مبنية على مكارم الأخـلاق التي تمثل الجزء المعنوي الذي يطبع المنجز المادي بطابعه معبراً عن القيم الأخلاقيـة المرتبطة بالمطلق وليس عن الأنانية وعدم الاكتراث بالآخر، والنظام الأخلاقي ينعكس عمرانيا بعمق لأنه يشكل المعنى القيمـي ويعطي الأشـكال المادية قيمتهـا وحضورهـا. وقال الرسـول ﷺ: (من عمل عملاً صالحاً فليتقنه)، إذ تميزت العمارة الإسـلامية بدرجة عالية من الدقة والإبداع في مسـتويات مختلفة من المبنى في المخطط العام وعلى مستوى التفاصيل حيـث تداخلـت الأشـكال الهندسـية مع العناصر النباتية في وحدة وانسجام.

٦ـ كفاءة الأداء:

نشأت الثقافة المعمارية الإسلامية على يد المعمار الفطـري، الذي تولى عمليات الإنشاء والإبداع بشكل تلقائي، يعتمد على الحدس والانتماء الإجتماعي والديني، دون اطلاعه على مراجع ونظريات، بل صارت ابتكاراته تشكل مدرسـة وتقليداً، ونشأت عن هذه الممارسات لغة معمارية ومفردات غزيرة يتناقلها المعماريون، مسـتمداً ذلك مـن النص المقـدس، فقد جـاء في الآية الكريمـة (...وَبَوَّأَكُمْ فِـي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِـن سُـهُولِهَا قُصُـورًا وَتَنْحِتُـونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا...)(سورة الأعراف/ الآية ٧٤)، والآية (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ)(سورة الشعراء/ الآية ١٩٤)، والآية (وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ)(سورة الحجر/ الآية

٨٢) والإشارة هنا إلى نحت البيوت كتعبير عن القوة حيث أن عملية بناء البيوت ميزة الأمم القوية، كما استعمل مفهوم النحت للدلالة على البناء بطريقة فنية رائعة بحيث أن كل جزء في عملية البناء يأخذ حقه في الإتقان والتكوين.

٧ـ المساواة وحق الآخر:

حدد النص المقدس في القرآن الكريم والحديث الشريف العديد من الضوابط والتشريعات في شروط البناء وبما ينظم طبيعة العلاقات الاجتماعية (..وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ...) (سورة النساء/ الآية٣٦)، وأثر ذلك في القرار المعماري في تحديد عرض الطريق العام وتوجيه فتحات الدار وأبعادها من الشبابيك والأبواب والشرفية بين الدور السكنية ضمن وحدة الجيرة لضمان حقوق المالك والمستعمل، فالمسكن في المنظور الإسلامي يعتبر وحدة اجتماعية لا ينفصل فيها البناء عن متطلبات الأسرة المسلمة الذي يحدد الفضاءات الداخلية للمسكن. ومن هنا التزم المعمار بطرق تشكيلية تتوافق مع المعاني القادمة من النص القرآني المقدس سواء في التشكيل السطحي أو التشكيل بالكتلة وقد ظهرت في صورة متكاملة متزنة. وقد لوحظ الاهتمام بتشكيل الأسطح الداخلية سواء في الواجهات المطلة على الفناء أو الفضاءات الداخلية، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى لانعكاس المفهوم الإسلامي على التصميم حيث أن الإسلام قد اهتم بجوهر الأمور وليس بظواهرها، والفناء هو نواة المبنى كالقلب في جسم الإنسان، مع كل هذا فان الإسلام لم يطالب بالتعالي والتباهي بإنشاء المساكن ولكن بالبعد عن التبرج والإسراف والتباهي وهي من مظاهر الدنيا الزائلة ويمكن استلهام ذلك في العديد من الآيات القرآنية الكريمة في سورة الزخرف (وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ

*وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ)(سورة الزخرف/ الآيات (٣٣-٣٥)).

المحور الثاني: وظائف المسكن من وحي النص المقدس

١ـ السُكنى:

المسكن راحة كاملة غير مجزئة، راحة جسدية يسترجع الجسد فيها قوته ونقاهته، وراحة نفسية تسترجع النفس فيه التوازن بعد التوتر والصراع، وقد جاء في الذكر الحكيم في سورة النحل الآية ٨٠ التي تشير إلى المستهدف من موضع المبيت والإقامة وهو تحقيق السكن والاستيفاء المرن لمقتضى تلك الإقامة، وترتبط مفردة (سكن) لغويا بعديد من الدلائل، السكينة والطمأنينة، الهدوء، الاسترخاء وغيرها من المعاني التي تؤكد أهمية استيفاء المتطلبات الحسية والإدراكية للإنسان أثناء القرار التصميمي للمسكن وظيفيا وتعبيريا.

٢ـ الوظائف البيولوجية:

وتعد ضرورة لابد من إتيانها لاستعادة الإنسان لطاقته وقدرته للاستمرار والبقاء (... وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)(سورة آل عمران/ الآية ٤٩)، (..أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ..)(سورة النور/ الآية ٦١)، وتعتبر كلا من وظيفة السكنى والوظائف البيولوجية وظائف تندرج ضمن علاقة الإنسان بنفسه محددة بنواميس الفطرة أو الغريزة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في ذات الإنسان ويشترك مع الإنسان فيها كثير من المخلوقات الأخرى. أما الضيافة التي تجعل من المسكن وسطا مصغرا مساهما في تحقيق الغاية من الوجود الإنساني وهي التعارف بين الناس، (وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ)(سورة

الحجر/ الآية ٥١).

٣ـ العبادة:

وهـي من وظائف المسـكن الرئيسـية التي تجسـد علاقة الإنسان بالله سبحانه، فهو مكان لاتصال الإنسـان بخالقه لأن في ذلـك راحة للنفـس وتطهير لهـا (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)(سورة يونس/ الآية ٨٧)، (وَاذْكُـرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا)(سـورة الأحزاب/ الآية ٣٤).

المحور الثالث: دور النص المقدس في تحديد تقنيات البناء

حددت النصـوص القرآنية القرارات التصميمية التـي يتخذهـا المعماري عند بلورة فكرة التصميم واختيار أنظمة ومواد البنـاء باسـتخدام تقنيات العصـر بما لا يتعارض مع القيم الثابتة في النص المقدس ولا يضـر بالبيئة المحيطـة مع ضمان حق الأجيـال القادمة في العيش (وَلاَ تُفْسِـدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)(سورة الأعراف/ الآية ٨٥):

١ـ اختيـار مـواد البنـاء وطريقـة صناعتها:

(آتُونِـي زُبَـرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَـاوَى بَيْـنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّـى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِـي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا)(سـورة الكهـف/ الآية ٩٦)، (وَقَالَ فِرْعَـوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَـلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَـا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّـي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَـى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ)(سـورة القصـص/ الآيـة ٣٨)، (وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ)(سورة الفجر/ الآيـة ٩). وجاء في النص المقدس إشارات متعددة إلى الجبال كمصدر لمواد

البناء، فالاسمنت والحصى من الجبال، والحديد والخشب من الأشجار، والزجاج من الرمال و غيرها من المواد التي تشتق وتحور وتستخرج بطريقة فنية علمية ودقيقة في التشكيل العمراني.

٢ـ تقنيات البناء:

حدد القرآن الكريم إنشاء الأسس كخطوة أولى للبناء (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)(سورة البقرة / الآية ١٢٧)، الأسس التي هي قواعد البناء وركيزته، فبأنهيارها أو فشلها انهار البناءِ كله (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ) (سورة النحل/ الآية ٢٦). أما الأعمدة فقد جاءت في القرآن الكريم (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)(سورة الرعد/ الآية ٢)، فالسماء بناء ومعجزة اللّه في ذلك أنه رفعها من غير عمد، فهي قدرة لا تضاهيها في ذلك قدرة، فهي خاصة باللّه جل و علا، أما الإنسان فلا بد في إنشاء بنائه من الأعمدة التي يشير لها النص المقدس وتعني العنصر العمودي من البناء الذي يمثل الجدران أو الأعمدة التي ترتكز على الأسس وترفع السقوف. وحدد النص المقدس عناصر أخرى في البناء كالسقف الذي له أهمية بالغة (وَلَوْلاَ أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ)(سورة الزخرف/ الآية ٣٣) والمعارج في النص المقدس هنا تشير إلى السلالم التي تمثل الحركة العمودية من مستوى إلى آخر، وكذلك عنصر الأبواب والتأثيث الداخلي (وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ)(سورة الزخرف/ الآية٣٤)، لما لأهمية البيت في تحقيق الراحة، وهذا تصوير دقيق لجميع عناصر البناء من تقنية في البناء إلى تزيين داخلي وخارجي للبيت، فهي عناصر مجتمعة متكاملة. وقد ورد في النص المقدس ضرورة إدماج المساحات الخضراء في محيط تزيين

البيوت وتنظيمها(لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) (سورة سبأ/ الآية ١٥).

٣ـ الصلابة والمتانة:

لابد لقرار التصميم المعماري ضمان الصلابة والمتانة في طبيعة البناء وتقنيته، حيث البناء مهما كان لابد أن يكون مرصوصا يشد بعضه بعضا، كما وصف بِهِ اللّه المسلمين في النص المقدس (إِنَّ اللّه يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ)(سورة الصف/ الآية٤) إشارة إلى الصلابة والقوة والمتانة التي يجب أن يكون عليها البناء.

وخلاصة القول أن العمارة الإسلامية في غياب الضوابط والمعايير للقرار المعماري المستمد من النصوص المقدسة هي نوع من الاجتهاد البشري أو الترف الفكري. فالعمارة الإسلامية ليست بكثرة الأقواس والنقوش والقباب، وإنما هي تلك التي تتلائم وشخصية الإنسان المسلم أخلاقياً وعقائدياً ونفسياً ملبيةً لاحتياجاته الروحية والمادية وتمنحه القدرة على تنمية قابلياته الإبداعية في اتخاذ القرارات الصائبة لجميع مناحي الحياة. فالمدن والمباني كالكائن الحيّ الذي يولد ويموت أو يرد إلى أرذل العمر، أو قد يولد ميتاً لا أثر للتنفس فيه منذ اللحظة الأولى، وخلايا الجسم هنا هي المباني وجميع المنشآت، أما الرئتان والشرايين فهي الساحات والمتنزهات وما يتفرع منها من شوارع وطرقات، وما الدم الذي يجري فيه ويعبر عن الحياة إلا المجتمع وسائر أوجه نشاطه. فبقي الإنسان يستوحي في نشاطه المعماري أشكال الطبيعة الحية وتراكيبها حيث يظهر ذلك في تفاصيل المبنى وعناصره. أن قرار التصميم المعماري يحتاج منا إلى وقفة متأنية لتقييم آثاره وتأثيراته على كل من الصحة والبيئة ومجالهما الحيوي وفهم كيفية مساندة النظم البيئية الطبيعية للمستوطنات البشرية والاستفادة من هذه البيئات التي سخرها اللّه سبحانه وتعالى لخدمة الإنسان فلا بدّ من رعايتها وصيانتها والعمل على زيادة قدرتها وكفاءتها وقد وردت في النصوص القرآنية توكيدات على ذلك كما في قوله تعالى في الآية ٨٥ من سورة الأعراف (وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ).

المصادر:

١- القرآن الكريم.
٢- محمد تقي المدرسي (التشريع الإسلامي، مناهجه ومقاصده)، ج٣، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٤
٣- تومي إسماعيل (العمارة والعمران في ظلال القرآن)، بيت المعماريين العرب، الجزائر.
٤- عبد اللّه سعدون المعموري (الوظيفة الأخلاقية للعمارة) أطروحة دكتوراه، الجامعة التكنولوجية، قسم الهندسة المعمارية، ٢٠٠٨.
٥- مجلة ميزوبوتميا، مركز دراسات الأمة العراقية، العدد ٥-٦، تموز، ٢٠٠٥.
٦- طالب حميد الطالب (الماضي والمستقبل ونظرتنا للعمارة المعاصرة) ندوة الخصوصية الوطنية، بغداد، ١٩٨٩.
٧- يحيى وزيري (التصميم المعماري الصديق للبيئة، نحو عمارة خضراء)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧.
٨- http://www.ruqayah.net/subject.php?id=١٠٥٦

طروحات عامة

جريمة..

هدم القبور الطاهرة

عودة إلى التاريخ

الشيخ علي اليماني •

ينابيع

قامت الحركة الوهابية ـ التي تتبع عقيدة سلفية متشددة ـ منذ ظهورها سنة ١١٤٣هجرية/ ١٧٢٢ ميلادية على يد محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي الحنبلي بمهاجمة كل المناطق الإسلامية المجاورة لها في شبه الجزيرة العربية، وخارجها ومن أشهر ما قامت به من أعمال شنيعة يندى لها جبين التاريخ الإسلامي ما يلي:

١- في ١٨ ذي الحجة ١٢١٦ هـ المصادف ٢٢ نيسان ١٨٠١ م هاجم الوهابيون بقيادة سعود بن عبد العزيز مدينة كربلاء المقدسة حيث استغلوا ذهاب معظم أهالي كربلاء إلى النجف

الأشـرف لزيارة ضريح أمير المؤمنين علي بـن أبي طالب عليه السلام في عيد الغدير ، فذبحـوا مـا يزيد على ثلاثـة آلاف من السـكان ، ونهبـوا البيوت و الأسـواق ونفائس الضريح المقدس ، وقد أخذوا علـى الأخـص صفائح الذهـب بعد أن اقتلعوها من مكانها ، ثم هدموا الضريح المطهر

٢- بعد سنتين وفي ١٢١٨ هـ /١٨٠٣م هاجمـوا النجف الاشـرف ومرقد أمير المؤمنين عليه السـلام ولكن اسـتعداد ودفـاع أهل النجف عـن مدينتهم أحبط هجومهم الحاقد.

٣- وفـي عـام ١٢١٨ هـ /١٨٠٣ م هاجمـوا كربلاء مـرة ثانية لكن أهل كربـلاء كانوا قد اسـتعدوا لهم فأحبط الله سبحانه وتعالى هجومهم الغادر.

ومـن جرائمهم الكبـرى اعتداءهم الآثـم علـى البقـاع الطاهرة فـي بقيع الغرقد حيث مرت علـى البقيع فترتان هدمـت فيها معالمه مـن قبور وضرائح وقباب من قبل الوهابيين العتاة:

الهدم الأول عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٤٥م:

أقدم آل سعود على تدمير البقيع وذلك عام ١٢٢٠ هـ فهدموا قبة آل البيت عليهم السلام وقبة الحمزة عليه السلام عم رسول الله صلى الله عليه وآله وكل القبـاب التي بالبقيع وخـارج البقيع في المدينة المنورة ومكة وقد هاجم جيش ابن سـعود المدينة من جنوبها، ودخلها مـن العوالي وقبـاء الاخـوان وواصلوا زحفهم حتـى اقتحموا السـور ، يقول المؤرخ السعودي ابن بشر

(وفـي أول هذه السـنة قبـل مبايعة غالـب بايع أهل المدينة المنورة سـعود

على دين الله ورسوله السمع والطاعة، وهدمت جميع القباب التي وضعت على القبور والمشاهد وذلك أن آل مضيان رؤساء حرب وهما بادي وبداي ابني بدوي بن مضيان ومن تبعهم من عربانهم أحبوا المسلمين ووفدوا على عبد العزيز وبايعوه، وأرسل معهم عثمان بن عبد المحسن أبا حسين يعلمهم فرائض الدين وقرر لهم التوحيد. فأجمعوا على حرب المدينة ونزلوا عواليها، ثم أمر عبد العزيز ببناء قصر فيها فبنوه وأحكموه واستوطنوه، وتبعهم أهل قباء ومن حولهم وضيقوا على أهل المدينة وقطعوا عنهم السوابل وأقاموا على ذلك سنين.

وأرسل عليهم سعود وهم في موضعهم ذلك الشيخ العالم قرناس بن عبد الرحمن صاحب بلد الرس المعروف بالقصيم. فأقام عندهم قاضيا ومعلما كل سنة يأتي إليهم في موضعهم ذلك. فلما طال الحصار على أهل المدينة وقعت المكاتبات بينهم وبين سعود من حسن قلفي واحمد الطيار والأعيان والقضاة وبايعوا في هذه السنة سنة ١٢٢١ هـ)

ثم أعاد إبراهيم باشا بن محمد علي باشا والي مصر بنائها (سنة ١٢٢٢ هـ) وكتب اسمه واسم أبيه واسم السلطان محمود في دائرة القبة الشريفة لحضرة الرسول صلى الله عليه وآله وقبة آل البيت العظام عليهم السلام وكان من بين ما قاله الرحالة السويسري جان لويس بورخارت عن مقبرة البقيع: (... وتبدو المقبرة حقيرة جداً. لا تليق بقدسية الشخصيات المدفونة فيها، وقد تكون أقذر وأتعس من أي مقبرة موجودة في المدن الأخرى التي تضاهي المدينة المنورة في حجمها... فالموقع بأجمعه عبارة عن أكوام من التراب المبعثر وحفر عريضة ومزابل).

الهدم الثاني: الثامن من شوال عام ١٣٤٤هـ

بعد زهاء ثمانين سنة من عملهم الإجرامي الأول استولى الوهابيون على البلدين المقدسين مرة ثانية وهدموا القباب وأحرقوا المكتبات وكانت تحتوي على الكتب القيمة والنادرة.

فعاد الوهابيون ليستولوا على المدينة المنورة مرة أخرى في عام ١٣٤٤هـ الموافق لـ٢١ نيسان (إبريل) ١٩٢٥م.

وكان من ذلك هدم بقيع الغرقد بما فيه من قباب طاهرة لذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته وخيرة أصحابه وزوجاته وكبار شخصيات المسلمين.

حيث قاموا بتهديم المشاهد المقدسة للائمة الأطهار عليهم السلام وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله بعد تعريضها للإهانة والتحقير بفتوى من وعاظهم.

فقد استفتوا في مسرحية - تحت التهديد والترهيب- علماء المدينة حول وجوب هدم القبور، حيث أرسل الوهابيون قاضي القضاة في نجد سليمان

بن بليهد إلى علماء المدينة يستفتيهم حول بناء مراقد أولياء الله،وكان يحمل أسئلة متضمنة الأجوبة من وجهة نظر الوهابيين،وقد صدرت الفتوى بوجوب الهدم وذلك تحت التهديد!

وقد نشرت جريدة أم القرى الصادرة في مكة بعددها (٦٩) في (١٧ / شوّال ١٣٤٤ هـ) نص الاستفتاء وجوابه ، وحدّدت تاريخ صدور الفتوى من علماء المدينة بتاريخ (٢٥ / رمضان ١٣٤٤ هـ)وقد أثارت ضجة كبيرة بين المسلمين .

جاء في كتاب الوهابية في الميزان: (فبعدما صدرت تلك الفتوى من خمسة عشر عالما من علماء المدينة،وانتشرت في الحجاز،بدأت السلطات الوهابية بهدم قبور آل الرسول صلى الله عليه وآله في الثامن من شوال من نفس العام،وقضت على آثار أهل البيت عليهم السلام والصحابة،ونهبت كل ما كان في ذلك الحرم المقدس من فُرش غالية وهدايا ثمينة وغيرها،وحولت تلك الزمرة الوحشية البقيع المقدس إلى ارض قفراء موحشة)، فأصبح البقيع قاعاً صفصفاً لا تكاد تعرف بوجود قبر فضلا عن أن تعرف صاحبه.

وجاء أيضاً في مستدرك ما فات من أهل الدار تأليف عبد الرحيم بن حسن بن محمد حربي :

(أما هذه المرة وهي الثانية، فقد دخل الملك عبد العزيز المدينة المنورة مستلما لها من الشريف من شمالها، حيث كان العرضى التابع للاخوان معسكرا في الجرف والعيون، وحاصر المدينة مدة ستة أشهر ، ويقول الأستاذ محمد حسين زيدان في معرض حديثه عن دراسته وذكرياته: (...نركض على الدرج نجد الأستاذ قد جلس، كنا نحيا ذلك والمدينة محاصرة، والدويش في قبا، والغرم في العوالي، والنشمي في العيون، والمدينة محكومة بحكام أربعة كل على حاله).

كانت رحى الحرب دائرة بين الشريف وابن سعود على المدينة، حتى انهزم الشريف وسلمت المدينة لأميرها محمد بن عبد العزيز، ووضع الناس السلاح، وعادت الحياة لسابق وضعها، وفي الرابع من شهر شوال (عام ١٣٤٣ هجري) من ضحى ذلك اليوم صارت فرق العساكر تطوف شوارع المدينة وكان شيخ الحرفة هو المعلم خضر شيحة كانوا يأخذون المعلمين وعمالهم إلى البقيع، وأخذ حيث مقام سيد الشهداء الحمزة عم الرسول صلى الله عليه وآله ويأمرونهم بهدم القباب، فباشر المعلمون الهدم مرغمين على ذلك لان فرقة من الاخوان تركب الخيل، وتحمل معها حزما من جريد النخل، تستحث بذلك المعلمين على الهدم حتى ما مضت أيام قلائل إلا وكل القباب هدمت وأزيلت أنقاضها من البقيع ومقامات سيد الشهداء وإسماعيل والنفس الزكية..، وقد روى هذه القصة كثير من المعلمين الذين عاصروا هذه الحدث. ورواية أخرى يرويها احد المعمرين من أهل المدينة يقول: إن الشيخ عبد الله بن بليهد ـ قدم المدينة ودعا علماءها وتحاور معهم حتى برهن ـ وفقا لقناعته ـ أن زيارة القبور محرمة، وإنها بدعة في الدين، وشرك بالله، وانه يجب أن يتفق جميع علماء المذاهب الأربعة على تخريب القبب وهدمها ومنع

الزيارة، ونظراً لذلك فقد منعت زيارة جميع المراقد، والمشاهد، وأغلقت أبواب البقيع، ومقبرة سيد الشهداء وكل المراقد، وصار الناس لا يجرؤن على زيارة البقيع وغيره، حتى تمكن القاضي بن بليهد من موافقة علماء المذاهب الأربعة على ذلك، فصدر الأمر بهدم جميع القباب وتخريبها، وما ذلك إلا اجتهاد شخصي من هذا الشيخ.

وراوي آخر يحدث: بأن القاضي واجه معارضة شديدة من الشيخ محمد علي بن تركي، الذي كان من العلماء الورعين الزاهدين المقيمين في المدينة كان متواضعاً في سمته، وهندامه، وقورا في مشيه، جذابا في حديثه، وقد عرفت من سيرته التي يتناقلها الناس، انه كان لا يأخذ راتبه إلا من إيراد البريد بزعمه انه الإيراد الحلال الذي لا تشوبه شائبة.

يصف الرحالة الغربي واسمه (ايلدون رتر)، المدينة المنورة بعد الجريمة الثانية التي نفذها الوهابيون عند استيلائهم على المدينة المنورة وقتلهم الآلاف من الأبرياء، يقول: (لقد هدمت واختفت عن الأنظار القباب البيضاء التي كانت تدل على قبور آل البيت النبوي.. وأصاب القبور الأخرى نفس المصير فسحقت وهشمت).

العزم على هدم قبر الرسول (ص)

وتشير الوثائق والقرائن إلى أن الوهابيين لم يكتفوا بتلك الجرائم بل حاولوا مراراً هدم قبة الرسول صلى الله عليه وآله إلا انهم غيروا رأيهم بسبب حدوث ردود فعل إسلامية قوية من مختلف البلدان الإسلامية.

جاء في كشف الارتياب: (وتريثوا خوفا من عاقبة الأمر عن هدم قبة النبي صلى الله عليه وآله وضريحه التي حالها عندهم كحال غيرها أو أشد لشدة تعلق المسلمين بذلك وتعظيمهم له وأدلتهم الآتية وفتواهم لا تستثني قبة نبي ولا غيره وما أعلنه سلطانهم في الجرائد من أنه يحترم قبة النبي صلى الله عليه وآله وضريحه يخالف معتقداتهم جزما ولا يراد منه إلا تسكين الخواطر ومنع قيام العالم الإسلامي ضدهم ولو أمنوا ذلك ما توقفوا عن هدمها وإلحاقها بغيرها بل كانوا بدأوا بها قبل غيرها).

انقطاع الحج من مصر والشام والعراق

ذكر الأمين في كشف الارتياب: (قال العلامة السيد جواد العاملي في حوادث سنة ١٢٢٢ إنه تعطل الحج ثلاث سنين كما مر فيكون ابتداء انقطاعه من العراق سنة ١٢٢٠ وذكر الجبرتي في حوادث سنة ١٢٢٢ أن منها انقطاع الحج الشامي والمصري (أقول) وكان ابتداء انقطاع الحج من الشام في سنة ١٢٢١ ومن مصر في سنة ١٢٢٢ كما مر فيظهر أن الحج

انقطع من العراق أربع سنين ومن الشام ثلاث سنين ومن مصر سنتين ولا يعلم هل انقطع بعد ذلك أو لا).

جريمة البقيع ووصف الرحالة الغربيين

يقول الرحالة السويسري جان لويس بورخارت (١٢٣١هـ): (تبدو مقبرة البقيع حقيرة جدا لا تليق بقدسية الشخصيات المدفونة فيها. وقد تكون أقذر وأتعس من أية مقبرة موجودة في المدن الشرقية الأخرى التي تضاهي المدينة المنورة في حجمها، فهي تخلوا من أي قبر مشيد تشييدا مناسبا، وتنتشر القبور فيها وهي أكوام غير منتظمة من التراب. يحد كل منها عدد من الأحجار الموضوعة فوقها... فالموقع بأجمعه عبارة عن أكوام من التراب المبعثر، وحفر عريضة ومزابل).

أما جبل أحد فيقول عنه هذا الرحالة بأنه وجد المسجد الذي شيد حول قبر حمزة عليه السلام وغيره من شهداء أحد مثل مصعب بن عمير وجعفر بن شماس وعبد الله بن جحش قد هدمه الوهابيون.. وعلى مسافة وجد قبور اثني عشر صحابيا من شهداء أحد: (وقد خرب الوهابيون قبورهم وعبثوا بها).

ويقول الرحالة (ايلدون رتز) حيث زار البقيع عام ١٩٢٥م أي بعد هدمه بعام واحد: (حينما دخلت إليه وجدت منظره كأنه منظر بلدة قد خربت عن آخرها، فلم يكن في أنحاء المقبرة كلها ما يمكن أن يشاهد سوى أحجار مبعثرة وأكوام صغيرة من التراب لا حدود لها، وقطع من الخشب مع كتل كثيرة من الحجر والآجر المنكسر فخربها كلها... لقد هدمت واختفت عن الأنظار القباب البيضاء التي كانت تدل على قبور آل البيت النبوي في السابق... وأصاب القبور الأخرى نفس المصير، فسحقت وهشمت).

ولا بأس بالإشارة إلى ان جريمة هدم القبور فيها أهداف أخرى غير المعلنة منها الاستيلاء على الأموال التي كانت تزخر بها هذه المراقد المقدسة، فهؤلاء الأوباش كان همهم الإغارة ونهب الأموال، وهو واضح من فعلهم في كربلاء المقدسة كما أسلفنا ومحاولتهم ذلك في النجف الاشرف التي لم يوفقوا لنهبها، ونعرض لك أيها القارئ الكريم هذا النص للاطلاع على مآ ربهم الخسيسة.

جاء في تاريخ الجبرتي: (... ويذكرون أن الوهابي استولى على ما كان بالحجرة الشريفة من الذخائر والجواهر ونقلها واخذها ... إلى أن حضر الوهابي واستولى على المدينة واخذ تلك الذخائر فيقال انه عبى أربعة سحاحير من الجواهر المحلاة بالألماس والياقوت العظيمة القدر ومن ذلك أربع شمعدانات من الزمرد وبدل الشمعة قطعة الماس مستطيلة يضيء نورها في الظلام ونحو مائة سيف قراباتها ملبسة بالذهب الخالص ومنزل عليها الماس وياقوت ونصابها من الزمرد واليشم ونحو ذلك وسلاحها من الحديد الموصوف كل سيف منها لا قيمة له وعليها دمغات باسم الملوك والخلفاء السالفين وغير ذلك) ■

طروحات عامة

آليات النهوض والارتقاء بالعملية التربوية

م. م. فلاح رزاق جاسم •

ينابيع ثلاثة عناوين يدور عليها محور الكتابة فيما يخص تطوير العملية التربوية ألا وهي علم النفس التربوي ـ طرائق التدريس ـ المرشد ودوره التربوي وفي الإعداد للكتابة عن أحد هذه المحاور يمكن أن ينبثق عنوان يشكل قاسماً مشتركاً من بين تلك المحاور يتضمن الحديث عن سبل النهوض والارتقاء بالعملية التربوية!! والحق أن كل ما ذكر يصب في زيادة الوعي في مدى التفكير لاستخدام طرق وأساليب مدعاة إلى إصلاح وتطوير العملية التربوية والتعليمية والجميع يتحدث عن بعض

الاخفاقات في مجالات التربية والتعليم وتردي القسم الكبير من العملية التربوية فضلاً عن هبوط وانخفاض المستوى العلمي للكثير من الطلبة وبهذا اللحاظ ينتظر الجميع حلاً للمشاكل بعد التشخيص وانتظار النتائج والثمار المرجوة.

وفي هذا الضوء ولدى التشخيص لاحظنا أن ثمة عوامل تشترك في النهوض وتطوير عملية التربية والتعليم مع الأخذ بنظر الاعتبار مجال الخبرة العملية في ميدان التعليم العملي ـ كمدرس ـ وبالاستفادة من الممارسة للفترة المستوحاة من العملية التربوية.

ومن الحقائق الثابتة أن التربية العشوائية أو العفوية تبدد الطاقات والجهود وتخلق الاضطراب والبلبلة في المجال النفسي والسلوكي وتحرف الأهداف والغايات التربوية عن مسارها الحقيقي من هنا كانت الحاجة إلى منهج تربوي ثابت في أصوله واضح في مقوماته وموازينه بل هو ضرورة من ضرورات الحركة التربوية فهو يرسم للتربية مسارها السليم المتوازن ويحدد لها معالم طريقها ويوجه الجهود والنشاطات والبرامج التربوية لتقرير المفاهيم والقيم الصالحة والسامية في الواقع الإنساني. وقد بذل العلماء والباحثون والمتخصصون في شؤون التربية جهوداً كبيرة ومتواصلة للتوصل إلى منهج تربوي يستندون إليه في انطلاقاتهم نحو تربية الإنسان والمجتمع على أسس سليمة وصالحة ولقد تنوعت تلك الدراسات وهناك ما قام بها متخصصون جمعت بين الدراسات الغربية والشرقية وبين الدراسات الإسلامية.

وثمة ضوابط وعوامل ينبغي مراعاتها في العملية التربوية لأجل النهوض والارتقاء

بها وهي تشكل دعامة ومرتكزاً لدفع عجلة التعليم إلى الأمام ولابد من إجراء تغيير أساسي في الأهداف والطرائق والمناهج والوسائل ولابد أن نلتفت ونركز أن على المربين وأصحاب الاهتمام أن يدركوا أن المهمة الإصلاحية والتربوية التي يواجهونها اليوم تختلف في بعض وجوهها عن المهمة الإصلاحية التربوية بالأمس ويمكن ملاحظة أن: (أبناء اليوم قد أصابهم مرض الشكلية والعجز عن إدراك الجوهر والتعلق بالمظاهر بسبب ضمور الفكر وعدم قدرته بعد الانفصال على متابعة الواقع وفهمه واحتواء تحدياته وتقديم البدائل للتعالم الصحيح معه)[١].

هذا وأن الدراسات التربوية الحديثة في ميدان علم النفس تراعي عدة أمور ينبغي الالتفات إليها في عملية الإصلاح التربوي وبما أفرزته المدارس الحديثة من تجارب خاضتها في هذا المجال، ففي دراسة بعنوان (التربية والتنمية والنهضة) يؤكد فيها الباحث على: (ثوابت أساسية في تطوير العملية التربوية ومنها أن يراعى فيها التحولات والتغيرات العالمية المتسارعة)[٢]، على أن التطوير هذا يجب أن يكون نوعياً بالدرجة الأولى ثم أن الأخذ بعناصر التربية الصحيحة كونها: (مسؤولة عن تنمية الإبداع والقدرة على التفاعل مع المستقبل)[٣]، لا أنه يقف عند تطوير الكتب الدراسية أو أساليب التدريس فحسب فمن ذلك مثلاً التأكيد على: (ضرورة التخطيط الاستراتيجي المعتمد على الرؤية البعيدة والنظرة المستقبلية)[٤].

إن زيادة تعقد الحضارة الحديثة والنمو السريع لعوامل التقدم التقني يستدعي زيادة الطلب على تربية تزيد كماً وكيفاً عن التربية القديمة. إن التحدي اليوم بما أفرزته الحياة العصرية يتطلب أن: (تطالب المدرسة الحديثة بأن تمكن كل طالب من استغلال مواهبه الكامنة أقصى استغلال ممكن)[٥]، على اعتبار أننا بحاجة إلى طلاب أكثر معرفة وأكثر إتقان وأقدر على متابعة متطلبات الحضارة الحديثة بمعنى تهيئة أجيال قادرة على أن يتعلم الطالب: (كيف يتعلم وكيف يحل مشكلاته أكثر أهمية من مجرد جمع المعلومات وتكديسها)[٦]، لقد وضعت وظائف أساسية للتربية والتعليم ينبغي الالتفات إليه ومنها[٧]:

١- تحديد الأهداف التربوية.

٢- تنظيم المنهج الذي يحقق هذه الأهداف.

٣- تكييف المناهج بحيث تناسب مستويات الطلاب المختلفة وقابلياتهم المتنوعة.

٤- توفير الشروط اللازمة للتعلم الصحيح والحفظ الجيد والتطبيق المناسب.

٥- إجراء تقويم دوري أو مستمر لتقدم الطلاب نحو أهدافهم التربوية ويتضمن تحديد الفروق الفردية بين الطلاب واقتراح طرق ومناهج لمواجهتها.

ومما تقدم يمكن جعل عدة عوامل نراها تلعب دوراً كبيراً في دفع عملية التربية والتعليم نحو التقدم والنجاح منها ما يتعلق بالمنهج وأخرى تتصل بطبيعة عمل المدرس وثالثة تتأطر بإطار المؤسسة التربوية ولأجل تجنب الإخفاقات الحاصلة في بعض مفاصل عملية التربية والتعليم.

والأمر الأول الذي يجب التركيز عليه يتعلق بالمنهج الدراسي بملاحظة أن منهج

الأمس يختلف عن منهج اليوم بحيث يمكن لنا أن نحقق: (الغاية من التربية والتوجيه على المستوى النفسي والمستوى الذهني والعقلي لكل مرحلة من مراحل نمو الناشئة)[٨].

تنظيم المناهج

إن إدارة وتنظيم المناهج تعد مشكلة من أهم المشكلات. إن مناهج اليوم انتهى في المربون وعلماء النفس إلى القول: (بوجوب دوران المنهج حول الموضوع والطالب والمجتمع في آن واحد)[٩]، أي وضع منهج متكامل يهتم في الوقت نفسه بالموضوعات المدرسية وخبرة الطالب في حل مشكلات المجتمع التي تهمه ولأهمية المنهج في التعليم وعن الاهتمام بالتربية والتعليم في أمريكا مثلاً أنها: (تعتبر أي خلل في التعليم هو أمر يهدد كيانها السياسي والاجتماعي والاقتصادي)[١٠]، أضف إلى ذلك أن: (الدول الكبرى تنظر إلى أي خلل في تعليمها باعتباره من مهددات أمنها مثلما حدث من تغير في مناهج التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٥٧)[١١].

أولاً: إن ما يمكن أن ينظر له في ما يخص المنهج التالي:

١- أن يكون مواكباً لحركة التطور العلمي والتكنولوجي والتقني.

٢- أن يكون مناسباً لفترة (٨) الأشهر الدراسية بحيث لا يشكل عبئاً على الطالب أو يثقل كاهل الأستاذ.

٣- بالنسبة للدروس العملية ينبغي أن يكون محتوياً على الأمثلة التطبيقية بحيث تكون مقدمة للدخول ومن ثم المباشرة بالموضوع.

٤- أن يكون لكل موضوع هدفاً من دراسته وخاصة فيما يتعلق بدرس الرياضيات والفيزياء والكيمياء.

٥- أن يكون منسجماً مع ذوق الطالب وبيئته وبما يتكيف مع الفروق الفردية لاختلاف النضج العقلي والقابليات:

أ - فبمقدار التعلم بما ينطبق مع درس التاريخ، الأحياء الجغرافيا.

ب - أو بما يراعى فيه مشاعر الطالب من حيث الأمثلة بما يخص درس اللغة العربية لافتقاده إلى عنصر التشويق.

ج - وبما يخص مادة اللغة الإنكليزية أن تكون مناهج محادثة بدلاً من مناهج قواعد اللغة الإنكليزية.

د - بالنسبة لموضوع التربية الإسلامية ينبغي ضم جانب الأخلاق إلى جانب الفقه والتركيز على ذلك.

٦- أن يكون المنهج تثقيفياً تعليمياً لا أن يكون تعليمياً تحفيظياً فقط.

٧- أن لا يبت بالمنهج المقرر إلا على ضوء جلسات تعليمية مختصة وتجارب عدة في ضوء لجان مختصة.

٨- الاهتمام بالمناهج التي من خلالها يستطيع الطالب رسم مستقبله أو المجال الذي سيبدع فيه وفي عقيدتي أن الأخذ والسير على هدي ما تقدم يمكن في (فيدرالية المناهج) - إن صح التعبير -.

ثانياً: وفيما يخص المؤسسة التعليمية فيمكن النظر لها كالتالي:

أ - (ما يخص الأستاذ):

١- إدخال الأساتذة من مدرسين ومعلمين دورات تعليمية مكثفة بما يخضع للتقييم مع وجوب احتوائها على سفرات لتجارب قائمة في دول الجوار للاستفادة منها.

٢ـ توفير دخل مناسب للأستاذ يجعله متفرغاً للعملية التربوية التعليمية بما لا يحتاج معه إلى الدروس الخصوصية لكي تتم متابعته من خلال لجان متخصصة وبشكل مستمر.

٣ـ ينبغي اعتماد الأستاذ لمرحلة واحدة بقصد التفرغ لها والإبداع فيها.

٤ـ أن يتناسب عدد الأساتذة مع الحصص الدراسية.

٥ـ أن يتدرج الأستاذ مع المراحل الدراسية كافة مع الطلبة لمواكبة الطالب في تحصيله الدراسي.

٦ـ بالنسبة لوضع الأسئلة ينبغي وضع عامل مساعد لها يعين الطالب على الإجابة يرفق معها مثل القوانين الرياضية أو إعلام الطالب بنتيجة الحل كما هو في مدارس الغرب.

٧ـ وضع نظام (الكورسات) على غرار ما يجري في المعاهد والجامعات.

٨ـ احتساب درجة الطالب مع المراحل المتقدمة ابتداءً من الثالث المتوسط إلى السادس الإعدادي كما هو الحال في الجامعات والمعاهد.

ب ـ ما يخص المؤسسة التربوية:

١ـ أن تكون هناك حلقة وصل بين الطالب والأستاذ وأولياء أمور الطلبة مع إدارة المدرسة فيما إذا يتطلب دعم الطالب مادياً ومعنوياً بإشراف من قبل التربية وإطلاعها.

٢ـ أن تكون دائرة التربية مبتعدة كلياً عن الروتين الدوائري ليتسنى لها تمشية الأمور بيسر.

٣ـ أن يكون للتربية الإشراف المباشر على المباني التدريسية (المدارس) لمراقبة ما تحتاج لأحدث وسائل التعليم.

٤ـ أن تكون لها القدرة بجعل المدرسة مرفأ سياحي أو ترفيهي تعليمي تثقيفي تربوي.

٥ـ المطالبة ـ بشكل جدي ـ بحقوق الأستاذ إلى جانب حقوق الطالب.

٦ـ مفاتحة وزارة المالية بجعل منحة مالية شهرية للطالب لتشجيعه على التواصل الدراسي.

٧ـ السعي لمكافأة الأستاذ والطالب على حد سواء لخلق التنافس الشريف الجاد من أجل خلق جيل واع يخدم البلد ومن خلال لجان متخصصة ودقيقة في هذا المجال.

وأخال أن الأخذ بهذه الأسباب والمعطيات يتطلب وقتاً غير قصير لأجل تطبيقه والاعتماد عليه وبالتالي جني الثمار المترتبة من خلاله أما فيما يخص المرحلة الآنية الحالية ـ كعلاج وقتي ـ فإن تشذيب الطلبة على أساس النوعية بدل الكمية ـ في نظري ـ هو الحل الأمثل في إعانة الحركة العلمية والتربوية والحمد لله أولاً وآخراً ■

---

(١) أزمة العقل المسلم، ص٢١٦.
(٢) التربية والتنمية والنهضة، د. الحر، عبد العزيز محمد، ص١٦٦.
(٣) المصدر نفسه، ص١٦٧.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) د. فاخر عاقل، علم النفس التربوي، ص٢٧.
(٦) المصدر نفسه، ص١٠.
(٧) في هذا المجال: علم النفس التربوي، ص١٠.
(٨) أزمة العقل المسلم، ص٢١٦.
(٩) علم النفس التربوي، ص٢٥.
(١٠) الهاشمي كامل، إسلاميات في شؤون العصر وقضايا الفكر، ص١٦٦.
(١١) المصدر نفسه.

حكم ومواعظ

ما روي من حكَم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

- **العالم أطهر الناس أخلاقاً، وأقلهم في المطامع أعراقاً.**
- **الصبر على مضض الغصص، يوجب الظفر بالفرص.**
- **الصديق من كان ناهياً عن الظلم والعدوان، معيناً على البر والإحسان.**
- **المؤمن نفسه أصلب من الصلد، وهو أذل من العبد.**
- **الدنيا غرور حائل وسراب زائل وسناد مائل.**
- **الجهل بالفضائل، من أقبح الرذائل.**
- **المال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الانفاق.**
- **الحكمة شجرة تنبت في القلب وتثمر على اللسان.**
- **الحسود دائم السقم، وإن كان صحيح الجسم.**
- **الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر وإذا كان عليك فاصطبر.**

طروحات عامة

فضاءات التفكر والتأمل في دعاء المعصوم

قراءة في نماذج من.. الصحيفة السجادية

• **د. علي مجيد البديري**
كلية الآداب/ جامعة البصرة

ينابيع

يمكنُ النظرُ إلى الدعاءُ ـ في وجه من وجوهه ـ على أنَّه ساحةٌ تُمتحَنُ فيها قدراتُ الداعي على التأملِ والتفكّر وتُوضعُ موضعَ الاختبار، ومن ذلك وغيره يستمدُ الدعاءُ فاعليّته وقوتَه وكينونتَه. و لذا نَجدُ أنَّ القراءةَ السطحيةَ للدعاء وغيرَ المتفاعلة مع مضامينه، لا يُعتَدُ بقيمتها، وتكادُ تكونُ خاليةً من الآثارِ الإيجابية، إنْ هيَ تجاوزتِ الوقوعَ في حالة من حالات الاستخفافِ بمحتوى الدُّعاء، ومعنى التوجُّه الصحيح لآفاقِ العطاءِ السماويِّ اللامتناهي.

يُعدُّ امتحانُ هذا التوجهِ سنةً من

سُـنن الدعاء، وامتثالُ الداعي لها تجلياً مـن تجليات الرُّوح في يقظَتها و اقترابها من جَوهر العبادة الحقَّة للباري جلَّ وعلا. ولـذا نقرأُ في أكثر من موضع ـ يُقدمُ فيه المعصومُ عليه السلام بياناً لفضل دعاءٍ ما ـ التأكيدَ على ضرورة توفـر الحضور القلبيّ عندَ الدَّاعـي. و يُعـدُّ هذا الحضـورُ المفتاحَ الأولَ لبوابة الدعاء الأولى، المُوصلة إلى آفاقه الرَّحبَة. ومن هنا كانَ الدعاءُ مكتَسباً هويتَهُ مـن هوية قارئه، ويتضاعفُ الأمرُ فيمـا إذا كانَ قارئُ الدعاء هو المُنشئ ذاته.

إننا لا نسـتطيعُ تأملَ دعاء المعصوم منفصلاً عن ذات المعصوم، لا نسـتطيعُ ونحـنُ نُنصتُ لصـور ودلالات العشـق والارتبـاط بالـذات الإلهية المقدَّسـة، التي تَشـفُّ عنهـا كلماتُ الدعـاء إلا أنْ نسـتحضرَ حياةَ المعصـوم و خصوصيةَ مواقفه التي عاشَـها، ومعطيات ما وَهَبهُ للبشـرية مـن علوم ومعـارف، ولو على نحو الإجمال. ولا يتَّسـعُ المجالُ في هذه الورقة المتواضعـة للخوض في تفاصيل هذا الموضوع، لذا سأكتفي بالإشارة إلى أهمية ذلك في قراءة الدُّعاء واسـتنطاق دلالاته والنهل مـن فيوضاته، مُتخذاً من هذه الإشارة تمهيداً لمعالجة سؤال طُرِحَ فـي أكثر من مُناسـبة وبقلـم العديد من الكتاب والباحثينَ حـولَ أدعية الصحيفة السـجادية، وخصوصيتهـا، وطبيعـة السـياق الثقافيّ الذي عاشَه الإمامُ عليُّ بنُ الحسين عليهما السلام وأنتجَ نَصَّه الشريف في ظلاله.

والسـؤالُ هـو: إذا كانـتْ الصحيفةُ السـجاديةُ قـدْ أملتْها ظروفٌ سياسـيةٌ خاصـةٌ، وَجَّهـتْ الإمـامَ إلى مُمارسـة دورِه الإلهـي مـن خلال الدُّعـاء، حيثُ

جَعلَ أدعيتَه متشكلةً من فضاءات وآفاق ممتدة الإتساع، فهل يعني هذا أنَّ الإمامَ لو عاشَ في غير تلك الظروف لا بتعدَ عن الدعاء، وما كانَ هناك شيءٌ اسمُهُ (الصحيفةُ السجاديةُ)؟.

يُعدُّ الدعاءُ ممارسةً عباديةً مهمةً في حياة المعصومينَ عليهم السلام في مختلف الظروف والأحوال، ولا تُقبلُ الإجابةُ بالإيجاب عن السؤال السَّابق معَ هذا الحشد الهائل من الأدعية المباركة المخصوصة بأزمنة وأمكنة مُعيَّنة، وغير المخصوصة منها، والتي تكتظُ بها كتبُ الأدعية والعبادات. وقد عَمَد السيدُ مُحمّد باقر الأبطحي الأصفهاني إلى جَمع هذه الأدعية في صحائفَ تُماثلُ الصحيفةَ السجاديةَ؛ فظهرتْ الصحيفةُ النبويّة والعلويّةُ والفاطميّة... حتى الصحيفة المهديّة. من هنا نجدُ أنَّ الدعاءَ مثَّلَ مُفردةً حياتيةً مُهمةً في حياة أهل البيت وملازمةً لها.

لاشكَّ أنَّ أدعيةَ الصحيفة قد حَملتْ ملامحَ السياق الثقافيّ الذي تشكَّلتْ فيه، إلا أنَّ هذا الإرتباطَ بظروف العصر الأموي لم يمنعْها من الانفتاح على الآفاق الرحبة في كلِّ الأزمنة والأمكنة، بما تضمنتْه من معارفَ فلسفية وفكرية وتربوية وعقائدية كثيرة، لأنها لم تقفْ عند حدود وظيفة الدُّعاء المختصة بالطلب، فالدعاءُ عند أهل البيت عليهم السلام حواريةٌ مع اللّه تباركَ وتعالى، و فضاءٌ للتأمل والتفكر قبل أنْ يكونَ طلباً، وهو قراءةٌ لآيات اللّه وكشْفٌ لتجليات عظمته في الوجود.

ويشكِّلُ هذا البعدُ العام (التأمل والتفكر) من أبعاد الدعاء في الصحيفة مُهيمناً موضوعاتياً على مضامين أغلب نصوصها، ويُمكنُ أنْ نجدَ ذلك واضحاً بشكلٍ كبير في دعاء الإمام السَّجاد عليه السلام إذا نظرَ إلى الهلال، يقولُ فيه: (أيُّها الخلقُ المطيعُ الدائبُ السريع، المتردِّدُ في منازل التقدير، المتصرِّفُ في فَلَك التدبير، آمنتُ بمن نوّرَ بك الظُلمَ، و أوضحَ بك البُهَم، وجعَلكَ آيةً من آيات مُلكه، وعلامةً من عَلامات سُلطانه، وامتهَنَكَ بالزيادة والنقصان، والطلوع والأفول، والإنارة والكُسوف، في كُلِّ ذلكَ أنت لهُ مطيعٌ، وإلى إرادته سريعٌ، سبحانَهُ ما أعجبَ ما دَبَّر في أمرك، وألطفَ في شأنك..)[1].

إنَّ هذا من أجلى و أوضح مصاديق ثقافة القراءة من منظور أهل البيت عليهم السلام، وفيه يحرصُ الخطابُ الدعائي على بناء علاقة روحية بشكلٍ فائقٍ معَ الموجودات، ونلاحظُ ذلكَ متجلياً ـ أيضاً ـ في لطافة الخطاب، حينما يُخاطبُ الإمامُ السجادُ عليه السلام شهرَ رمضان قائلاً: (السَّلامُ عليكَ يا أكرمَ مصحوبٍ منَ الأوقات). بلْ نجدُ هذه الألفةَ معَ أكثر الأشياء إثارةً للخوف في النَّفس البشرية، وأكثرها تعرضاً لسوء الفَهم، فنقرأُ في دعائه عليه السلام إذا نُعيَ إليه ميتٌ أو ذكر الموت: (اللّهم صلِّ على محمد وآله... وانصبِ الموتَ بين أيدينا نَصْباً، ولا تجعلْ ذكرَنا له غِبّاً) إلى أنْ يقولَ: (حتى يكونَ الموتُ مأنَسَنا الذي نأنسُ به، و مألفَنا الذي نشتاقُ إليه، و حامَّتَنا التي نُحبُّ الدنوَّ منها)[2].

إنَّ اللغةَ هنا هي لُغةُ مَنْ لا يرى نفسَه مقذوفاً في العالم دونَ هدف أو هوية، وهي لغةٌ مشفوعةٌ بوعي يرى نعمةَ الوجود مُمتدةً، لا مُتناهيةَ السِّعة، ويَرى

في الموت وجوداً أسمَى، ويعدُّه بوابةً للمَغفرة، ومفتاحاً من مَفاتيح الرَّحمة، وانتقالاً أبدياً إلى جوارِ اللّه و حياضِ رَحمته.

علَى وفقِ هذا الوَعي بالقراءة وطبيعتها، وبمثلِ هذه القراءة، ستتحولُ الأشياءُ إلى موضوعٍ واسعٍ للتأمُل، ومكانٍ أليفٍ تبلغُ فيه الرَّوحُ قمةَ نشاطها، وترى هذه الرُّوحُ كلَّ شيءٍ ـ مهما تَناهى في الصِّغرِ أو في الكبرِ ـ فَضاءً مَفتوحاً للتأملِ ونوافذَ مُشرعةً تُطلُ منها على عَظمة الخالق جَلَّ وعَلا.

وفي موضعٍ آخرَ يقولُ عليه السلام في تمجيد اللّه تعالى: (الحمدُ للّه الذي تَجلى للقلوبِ بالعظمة، واحتجبَ عن الأبصارِ بالعزَّة، واقتدرَ على الأشياءِ بالقُدرة، فلا الأبصارُ تثبتُ لرؤيته، ولا الأوهامُ تَبلغُ كُنهَ عظمَته)[٣].

ولا يَخفَى ما في هذا الدُّعاءِ من مضامينَ عقائديةٍ عاليةٍ، إذ يَندرجُ ذلكَ في جملةِ النصوصِ العقائديةِ الشريفة التي تناولتْ هذه المسألةَ ومنها؛ جوابُ أبي الحَسنِ الرِّضا عليه السلام عن سؤالِ مُحمد بنِ الفضيل: هل رأى رسولُ اللّه صَلى اللّه عليه وآله ربَّه عزَّ و جلَّ؟!. قالَ عليه السلام: نَعمْ! بقلبِه رَآه؛ أما سَمعتَ اللّه عزَّ و جلَّ يقولُ: (ما كَذَبَ الفؤادُ ما رَأى)؟ لمْ يَره بالبصرِ ولكنْ رَآه بالفُؤاد[٤].

وكذلكَ في قولِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام ـ مُجيباً سائلَهُ: هَلْ رأيتَ ربَّكَ؟ـ: (كيفَ أعبدُ رَباً لمْ أرَه؟!)، ثم تَوضيحُه الشَّريف: (لا تَراهُ العيونُ بمشاهدةِ الأبصارِ؛ ولكنْ تَراهُ القلوبُ بحقائقِ الإيمان) وهوَ ما يشيرُ إلى الرؤيةِ بعينِ البصيرةِ لا عينَ الباصرة، وإنَّ مقدارَ القوةِ والاستطاعةِ التي نَملكُها لنعرفَ اللّه تعالى بواسطتها هو مقدارُ وجودِ اللّه سُبحانَهُ في ذواتنا. فهو تعالى لمْ يَجعلْ لَنا حَدَّاً ولا حُدوداً من جهةِ الاستعدادِ والقدرةِ على التَّقدم و التكاملِ و الارتقاءِ في سُلمِ اليقينِ والوصولِ إلى العرفانِ والتوحيدِ والفناءِ في ذاتِ اللّه المُقدسةِ و الرُّسوّ عند صفاته الحُسنى. فكما أنَّهُ عَزَّ وجلَّ غَيرُ مُتناه ذاتاً و وجوداً وفعليةً في ذاته وأسمائه وصفاته و أفعاله، فقدْ جَعَلنا نحنُ كذلكَ لا متناهينَ قابليةً وإيجاداً و استعداداً، كما يقولُ العلَّامةُ العارفُ السيدُ مُحمد الحُسين الطَهراني قدس سره ـ[٥].

إنَّ خصوصيةَ البُعدِ الرُّوحي في الصَّحيفة لا تَنفصلُ عن قُدسيةِ الأحوالِ و المقاماتِ الإلهيةِ التي كانَ الإمامُ السجادُ عليه السلام يعيشُها، و هيَ قُدسيةٌ تَوقفتْ الكثيرُ من الدراساتِ والأبحاثِ عندَ توصيفها ومعاينةِ أبعادها وصورها، منطلقةً في ذلك من الرواياتِ الشريفةِ الكثيرةِ التي وَردتْ في كتبِ الأحاديث، ومنها ما رَواهُ الكلينيُ في (أصول الكافي) عن عليِّ بنِ إبراهيمَ، بإسناده عن الزُّهري قالَ: (قالَ عليُّ بنُ الحُسينِ عليهما السلام: لو مَاتَ

مَنْ بينَ المشرقِ والمغربِ لما استوحشتُ بَعد أنْ يكـونَ القرآنُ مَعي). وكانَ عليه السلام إذا قَرأَ (مالكِ يومِ الدِّينِ) يُكررُها حتى يكاد أنْ يموتَ.

وَنقرأُ في دعائهِ عليه السلام لنفسه بعدَ الفراغِ من صـلاةِ الليلِ: (اللهُـمَّ وَ أَنتَ حَدرتني مـاءً مَهيناً مـن صُلبٍ مُتضايـقِ العظام، حَرجِ المَسـالكِ إلى رحمٍ ضيقةٍ سـترتَها بالحُجُبِ، تصرِّفُني حَالاً عن حالٍ، حتى انتهيـتَ بي إلـى تمامِ الصُّـورةِ، و أَثْبَتَّ فـيَّ الجَّوارحَ كما نَعتَّ فـي كتابِك: نُطفةً ثـمَّ علقةً ثمَّ مُضغةً ثُمَّ عظاماً ثُمَّ كَسـوتَ العظامَ لحماً، ثُمَّ أنشـأتني خَلقاً آخرَ كما شئتَ، حَتى إذا احتجْتُ إلى رزقِك، ولمْ استغنِ عن غياثِ فضلِك، جعلتَ لي قُوتاً أجريْتَهُ من فَضلِ طَعامٍ وشَـرابٍ أجريْتَهُ لأمَتِكَ التي أسـكنْتَني جوفَها، وأودعْتَني قرارَ رَحمِها)[٦].

يَضعُ الإمامُ عليه السلام نفسَه في هذا المقطعِ الشَّـريف مـنَ الدُّعاءِ مَوضـعَ المُقرِّ للّهِ بالخالقيَّـةِ والتفضُّـلِ والإنعـامِ، ويَقفُ وقفـةً تأمليةً عبرَ هذا الإقرارِ في مراحلِ الخلْقِ التي يمرُ بها الإنسانُ. وتُحققُ هذه الوقفـةُ/ الدُّعـاء وعياً بجوهـرِ تجليات العَظمـةِ الإلهية، متضمنـةً أبعاداً مَعرفيةً وتربويـةً تُريدُ منَ الإنسـانِ/ الداعي أنْ يُؤسـسَ لعلاقتـه بالوجـودِ مـن خلالِ المَعرفة، من غيرِ التَّوقفِ عند حدودها، حيثُ تدعوهُ إلى مُجاوزةِ ذلك نحوَ تذوقِ البُعدِ الجَمالي المتحققِ في إبداعِ الخَالقِ جلَّ وعَلا، وتأمُلِ أسرارِه.

إنَّ الدُّعـاء هنا يَبدأُ مـن وعي الذات بذاتهـا و وجودهـا، و تكتسـبُ ملامحُ التأمـلِ هنا وضوحـاً وبُعـداً روحياً عبرَ المرورِ بشكلٍ وَئيدٍ بمراحلِ تشكُّلِ الخَلقِ، وتغيّرِ أحوالِ الإنسانِ وتبدُّلها، وكيفَ أنَّ ذلكَ كلَّه يتمُ للإنسـانِ دونَ تدخلٍ منهُ أو إرادةٍ، فتقلّبُهُ المشـيئةُ الرَّبانيةُ على وفقِ سُننٍ وأدوارٍ مُحدَّدة.

وَعلى الرُّغمِ مـن أنَّ مُفرداتِ الدُّعاءِ وصـورَه تكـرِّسُ فـي ظاهرهـا وقوفَ الإنسـانِ أمـامَ حقيقـةِ تكوينـه وضَعفه وحاجَتـه إلا أنَّهـا تَشـفُّ عن بعـدٍ آخرَ ذي ملامحَ روحيـةٍ يقولُ بعمـقِ ارتباطِ المخلـوقِ بخالقه، وسـموِّ علاقتِه ببارئه ومصـورِه. بعبارةٍ أخرى يَحـرصُ الدُّعاءُ على تأكيدِ جَوهـرِ العَلاقةِ الرُّوحيةِ التي تربطُ الإنسـانَ بربِه، مُنطلقـاً في ذلك من جعْلِ الوعي بالوجودِ المادي للجَسـدِ ودونيتـه أساسـاً للإرتقاءِ بهـذه العَلاقةِ وتعميقِهَا.

وهكذا يكونُ الدُّعاءُ ممارسةً تواصليةً بيـنَ الداعي وربِّـه، وبينَه وبيـنَ الآخرِ في شَـتى صورِه و تجلياتـه، عبرَ التفكُّرِ فـي طبيعـةِ تكوينِ هذا الآخـرِ وموضعه فـي الحيـاةِ، والحكمـةِ الربانيـةِ مـن وجودِه، وهو ما يجعلُ مـن الدُّعاءِ نافذةَ الدعي المشـرعةَ باتجـاهِ النفسِ والكونِ والوجودِ ■

---

(١) الصحيفة السـجادية الكاملة: من أدعية الإمام زيـن العابديـن عليه السلام، تقديـم السـيد محمد باقر الصـدر، انتشـارات ذوي القربى، قم المقدسة، ط١، ١٤٢٤هـ.ق.: ١٦٧.
(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٥٧.
(٣) المصدر نفسه: ٢٣٦.
(٤) أصول الكافي: ج١: الكليني، ص٩٨.
(٥) ينظر: معرفة الله: ج١، العلّامَة العارفُ السيدُ مُحمد الحُسـين الطهرانـي قدس سره، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٩ : ٧٨.
(٦) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٣٦.

نوادر وعبر

ممن تعلمت الحلم؟!

* قيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم (وكان ممن يضرب المثل بحلمه) قال من قيس بن عاصم المنقري رأيته يوماً قاعداً بفناء داره محتبياً بحمائل سيفه يحدث قومه، إذ أُتي برجل مكتوف وآخر مقتول، فقيل له هذا ابن أخيك قتل ابنك، قال فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه ، فلما أتمه التفت إلى ابن أخيه فقال : يا بن أخي بئس ما فعلت، أثمت بربك، وقطعت رحمك، وقتلت ابن عمك، ورميت نفسك بسمهك، ثم قال لابن له آخر: قم يا بُنى فوارِ أخاك وحل كتاف ابن عمك وسق إلى أمك مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة.

وروي أنه لما حضرت قيس بن عاصم الوفاة دعا بنيه فقال: يا بَني احفظوا عني، فلا أحد أنصح لكم مني، إذا مِتُّ فسوِّدوا كباركم ولا تُسوِّدوا صغاركم، فيسفّه الناس كباركم وتهونون عليهم، وعليكم بإصلاح المال فإنه منهة للكريم، ويستغنى به عن اللئيم، وإياكم ومسألة الناس فإنها آخر كسب الرجل.

الاستيعاب، ابن عبد البر، ٣ / ١٢٩٦

طروحات عامة

مفهوم التعاون في الفكر الإسلامي

أ. م. نجم عبد الله الموسوي •
كلية التربية/ جامعة ميسان

ينابيع

من المعروف أنَّ المجتمعات الموجودة في أي مكان على الكرة الأرضية، هي تكتلات بشرية، تربطها مجموعة من الروابط، والمصالح، والعلاقات، وتنظم حياتها مجموعة من القوانين الإلهية، أو الوضعية، ولكل مجتمع من هذه المجتمعات خصائص، وصفات، تميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى.

والمجتمع الإسلامي أحد أبرز المجتمعات الإنسانية، وله ميزات، وخصائص، ينفرد بها عن المجتمع الرأسمالي، الذي يعتمد على النظرية

الرأسمالية وكذلك يختلف عن المجتمع الإشتراكي القائم على النظرية الماركسية (الشيوعية).

وإنَّ الإنسان في الحياة الإجتماعية ـ وفي أي مجتمع كان ـ يقوم بممارسات إجتماعية كثيرة، لتنظم وتسير حياته فهو، يبيع، ويشتري، ويشارك، ويتزوج، ويتملَّك، ويتعاون، وينافس الآخرين، ويدرس، ويدافع عن حقوقه، ويختلف مع الآخرين، ويقاتل، ويرفه عن نفسه، وعن أهله، وكل ذلك يدخل في الحياة الإجتماعية للفرد، والمجتمع (الآصفي، ١٩٩٧ ص ١٥).

وحين ننظر إلى المجتمع من حولنا نظرة فاحصة نجد، أنَّ الناس متفاوتون، سواء كان ذلك من جهة القوة الجسمية، أم من جهة القوة العقلية، ففي المجتمع يكون هناك أُناس أقوياء، وآخرون ضعفاء.. وهناك أُناس أصحاء، وآخرون مرضى.. وهناك أُناس أغنياء وآخرون فقراء، وهناك من يتميز بالعلم والمعرفة، وآخرون بالجهل والأمية، ومن هنا برزت الحاجة إلى ضرورة إستيعاب الحياة، والروح التعاونية، التي تزرع مشاعر الحب، والإحترام، والإخاء، بين أفراد المجتمع كافة، وتعينهم على العمل، والتطور.

إنَّ المجتمع البشري، يشبه إلى حد كبير الجسم الإنساني في تكوينه، وعمله، وأداء وظائفه، فجسم الإنسان مكون من أعضاء، وأجهزة، ولكل منها واجب دقيق، وعمل خاص يقوم به بشكل منظم، بحيث لا يمكن لأي عضو أنْ يستغني عن بقية الأعضاء، فهي تعمل معاً بصورة مترابطة، ومنسقة

من أجل حفظ الحياة وديمومتها.

والمجتمع البشري يتألف من الفلاح، والمعلم، والطبيب، والمهندس، والعامل، والتاجر ... الخ، وكل شخص من هؤلاء يؤدي واجبه، ويقدم خدماته إلى أبناء مجتمعه.

كما انَّ الإنسان مع ما أعطاه الله تعالى، من صفات، وسمات تميزه عن غيره من المخلوقات الموجودة على سطح الأرض، تظل قدراته الجسدية، والعقلية، قاصرة عن تحقيق كل ما يطمح إليه، من رغبات، وأهداف، ما لم يتعاون مع الأخرين، أخذاً، وعطاءً، ويتعاون الأخرون معه لتحقيق الأهداف المشتركة التي يصبون إليها.

أما الفكر الإسلامي، فإنه يعمل جاهداً على إيجاد المجتمع المسلم المتعاون من خلال الإهتمام ببناء الإنسان أينما وجد، ليتربى وفق القيم السماوية التي أكدها الله تعالى، كما في قوله جلّ وعلا: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّه إِنَّ اللَّه شَدِيدُ الْعِقَابِ) (سورة المائدة: من الآية٢).

إنَّ البر والتقوى من الإمور التي توحد الجماعة وتجمع صفوفها وتلغي عوامل الفساد والإختلاف والنزاع وعناصر التضاد والتدافع في الإرادات والرغبات والشهوات وتسيطر على أسباب الهوى والغضب والإنفعال، وعمل البر والتقوى بالرغم من حسنه وميل الفطرة الإنسانية اليه إلا انه عمل ثقيل وصعب لما فيه من جهاد النفس والبذل والعطاء وتحمل الآلام ولذلك كان يحتاج التعاون والإشتراك في المسؤولية والإنجاز (الحكيم، ٢٠٠٣ ص ٤٧٣).

والتعاون بذلك صلة ورابط بين الإنسان، وأخيه الإنسان، يعمق الشعور بالود، والتعاطف، والتقارب، بين أفراد المجتمع الإسلامي، ومختلف أفراد بني البشر، بعيداً عن اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو العرق، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّه عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (سورة الحجرات الآية ١٣).

ويُشبه الرسول الكريم محمدﷺ، المجتمع بالجسد الواحد، ليعلّم أبناء المجتمع الإسلامي مبدأ التعاون، ويثبت في نفوسهم الأخوة، والمحبة، والتضحية، فقد روي عنهﷺ قوله:(مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا أشتكى منه عضو، تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى) (صحيح مسلم، ج٤، ص ١٩٩٩).

وقولهﷺ:(لا يؤمن من بات شبعان، وجاره جائع) (صحيح مسلم، ج١، ص ١٥٦).

وقولهﷺ: (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلِمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة) (المستدرك على الصحيحين،ج٢، ص١٥).

وقولهﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً) (صحيح البخاري،ج٥، ص ٢٢٤٢).

وعندما نطلع على سيرة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله، نراه يؤكد على التعاون الذي بواسطته استطاع الرسول صلى الله عليه وآله أنْ ينمي ويكون المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة، فبتعاون المسلمين، وبالمؤاخاة بين المهاجرين، والأنصار، ومؤازرة الغني للفقير، والقوي للضعيف، أصبحت أمة الإسلام أمة واحدة، استطاعت أنْ تنشر الإسلام، وتبني الدولة الإسلامية، وتحقق العدالة، والمساواة.

أما العلماء المسلمون، فقد أكدوا على التعاون في كتاباتهم، وأقوالهم فهذا الفارابي (ت٣٣٩هـ) يرى في كتابه (المدينة الفاضلة) أنه لا يمكن أنْ ينال الإنسان الكمال إلا بإجتماع أفراد كثيرين متعاونين، وإذا كانت السعادة ممكنة على وجه الأرض، فنيلها يكون بتعاون الأفراد بأعمالهم الفاضلة، كما اتفقت آراء ابن مسكويه (ت ٣٢١ هـ) مع النظريات الحديثة في أنَّ الإنسان لا يكتفي بنفسه في تكميل ذاته بل يحتاج إلى معاونة الآخرين حتى يعيش حياة طيبة يكتنفها الخير والسعادة والطمأنينة والاستقرار ■

المصادر:

(١) القرآن الكريم.

(٢) الولاء والبراءة ـ ولاية الله ـ ، الشيخ محمد مهدي الآصفي، ط١، رابطة الثقافة والعلاقات الاجتماعية، طهران ١٩٩٧ م.

(٣) المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، اية الله السيد محمد باقر الحكيم، ط١، المركز الإسلامي المعاصر، بيروت ٢٠٠٣م.

من خطب
الإمام الحسن المجتبى(ع)

□ من خطبه عليه السلام في كشف حقيقة الصلح مع معاوية أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس إن معاوية زعم أني رأيته للخلافة أهلا ولم أر نفسي لها أهلا، وكذب معاوية. أنا أولى بالناس في كتاب الله، وعلى لسان نبي الله، فأقسم بالله لو أن الناس بايعوني وأطاعوني ونصروني لأعطتهم السماء قطرها والأرض بركتها ولما طمعت فيها يا معاوية وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما ولت أمة أمرها رجلا قط وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالا حتى يرجعون إلى ملة عبدة العجل، وقد ترك بنو إسرائيل هارون واعتكفوا على العجل هم يعلمون أن هارون خليفة موسى وقد ترك. وقد تركت الأمة عليا وقد سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير النبوة فلا نبي بعدي. وقد هرب رسول الله صلى الله عليه وآله من قومه وهو يدعوهم إلى الله حتى فر إلى الغار ولو وجد عليهم أعوانا ما هرب منهم، ولو وجدت أنا أعوانا ما بايعتك يا معاوية. وقد جعل الله هارون في سعة حين استضعفوه وكادوا يقتلونه، ولم يجد عليهم أعوانا. وقد جعل الله النبي صلى الله عليه وآله في سعة حين فر من قومه لما يجد أعوانا عليهم وكذلك أنا وأبي في سعة من الله حين تركتنا الأمة وبايعت غيرنا، ولم نجد أعوانا وإنما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضا. أيها الناس إنكم لو التمستم فيما بين المشرق والمغرب لم تجدوا رجلا من ولد نبي غيري وغير أخي.

□ **ومن خطبه عليه السلام رداً على من تجاسر عليه:**

روي لما تمت البيعة لمعاوية بالعراق، وانصرف راجعا إلى الشام، أتاه رجل من شيعته وكان غائباً عن الكوفة، وكان سيد أهل العراق ورأسهم، فدخل على الحسن عليه السلام ـ فتجاسر عليه ـ فقال السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال الحسن عليه السلام: وعليك السلام اجلس! لله أبوك. قال الراوي: فجلس (...) وتكلم بما تكلم فسكت، ثم تكلم كل من حضر مجلسه بمثل مقالته، فتكلم عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد فإنكم شيعتنا وأهل مودتنا ومن نعرفه بالنصيحة والاستقامة لنا وقد فهمت ما ذكرتم، ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا وللدنيا أعمل وأنصب وما كان معاوية بأبأس مني وأشد شكيمة، ولكان رأيي غير ما رأيتم سلكنى، أُشهد الله وإياكم إني لم أرد بما رأيتم إلا حقن دمائكم وإصلاح ذات بينكم، فاتقوا الله وارضوا بقضاء الله وسلموا الأمر لله، والزموا بيوتكم، وكفوا أيديكم،...، مع أن أبي كان يحدثني أن معاوية سيلي الأمر، فوالله لو سرنا إليه بالجبال والشجر ما شككت أنه سيظهر أن الله لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه. وأما قولك يا مذل المؤمنين فوالله لئن تذلوا وتعافوا أحب إلى من أن تعزوا وتقتلوا فإن رد الله علينا حقنا في عافية قبلنا، وسألنا لله العود على أمره وإن صرفه عنا رضينا وسألنا الله العون على أمره، وإن صرفه عنا رضينا وسألنا الله أن يبارك في صرفه عنا، فليكن كل رجل منكم حلسا من أحلاس بيته ما دام معاوية حيا فإن يهلك ونحن وأنتم أحياء سألنا الله العزيمة على رشدنا والمعونة على أمرنا، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن(ع)، السيد مصطفى الموسوي ص:٦٨ـ٧١

قراءة في كتاب..

سياحة في الشرق

لمحات من تاريخ النجف الاجتماعي

د. حيدر نزار السيد سلمان ●
الكلية الإسلامية الجامعة

ينابيع

من المعروف أن واحداً من أهم المصادر فيما يخص الدراسات الاجتماعية ولاسيما التاريخية منها السير والمذكرات الشخصية لمن كانوا معاصرين لأحداث ووقائع مهمة وخطيرة وحتى حوادث بسيطة فهذه المذكرات والسير والتي في جانب منها ذاتية تعطي معلومات تعد في بعض أحيان كثيرة ضرورية وأصيلة عن حالة ما ولمجتمع معين خاصة إذا كان كاتب المذكرات أو السيرة يمتلك ذاكرة قوية توثيقية أو أنه دون الأحداث أولاً بأول وتميز بالروح الموضوعية وقوة الملاحظة والمتابعة والنظر بدقة الى الأمور وبقدرة على التمييز بين الوقائع وفصلها وإعادة بناءها من جديد لتأخذ شكلها النهائي المتكامل.

والحقيقة أن الباحثين يدركون مدى الأثر الفاعل للمذكرات في إنجاز أبحاثهم بوصفها رافداً حيوياً لذلك جاء هذا الاهتمام بالمذكرات والسير الشخصية وضرورة تدوينها ابتغاءً لكشف الحقائق أو إزالة الغموض والإبهام عن قضية من القضايا ورفع

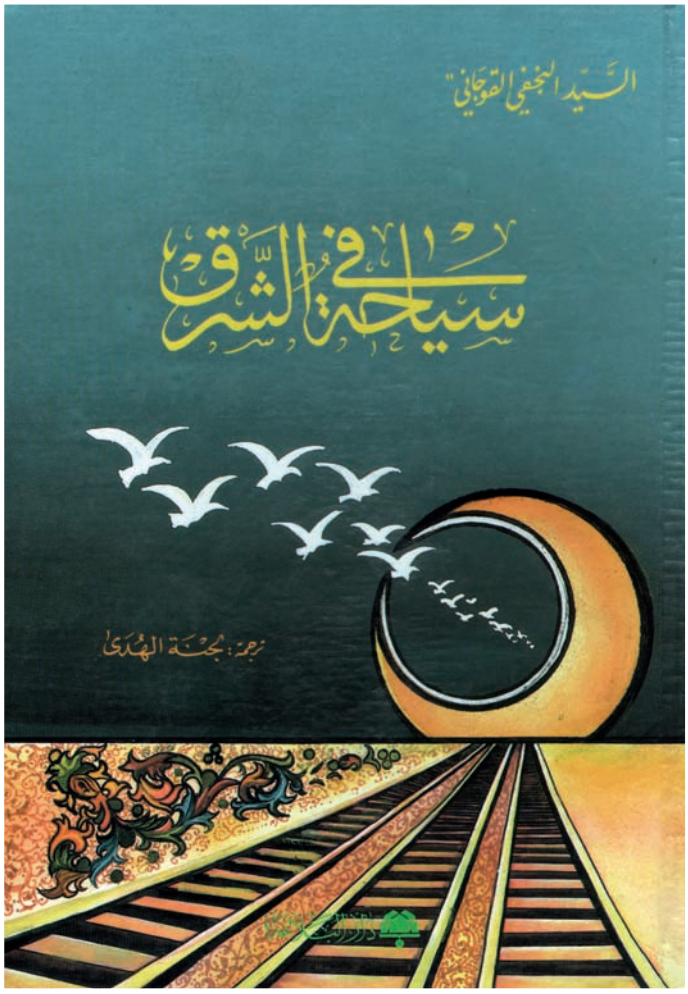

الحجب عن مجاهيل ظلت مغلقة على الفهم الى أن فتح هذه المغاليق أحد المشاركين فيها أو شهود العيان ومن جانب آخر فإن بعض هذه المذكرات لم تتوقف عند حد السرد الممل للحوادث بل إن كاتبها غاص في أعماق المجتمع وراقب بعين بصيرة العادات والتقاليد الاجتماعية وسجل بعناية التغيرات الحاصلة ويشمل ذلك التطورات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية.

وعلى هذا الأساس فإن المذكرات تقدم سيلاً من المعلومات الثرة وكمّاً من المعارف للدارسين والباحثين وأجوبة لأسئلة تبقى معلقة لفترات طويلة وهذا ما طبع المذكرات الموضوعية بطابع العلمية والأهمية البحثية ولعل واحداً من هذه المذكرات الرائعة والغزيرة في مادتها وموضوعاتها وصلابة بناءها ما كتبه السيد العلامة محمد النجفي القوجاني في واحد من أوفر كتب المذكرات وأوفرها عن مدينة النجف

الأشـــرف وتحقق ذلك بكتابه الجذاب والمهم (سياحة في الشرق).

والقوجانـــي ولـــد عـــام (١٢٩٥هـ) في مدينـــة (قوجان) من أســـرة علوية وكان في بداية حياتـــه عاملاً مع والده في الزراعـــة، وكان والده ونتيجة لقوة ارتباطه بالمرجعية الدينية أصر على ولده الدخول للمدارس الحوزوية في مدينته للتعلم والنهل من علوم أهل البيت عليهم السلام وفي مســـيرة حياته تنقل القوجاني في عدة حوزات إلى حين انتقاله المفصلي والمؤثر في حياته العملية والعلمية إلى مدينة النجف الأشـــرف عام (١٣١٨هـ) حيث دخلها فـــي يوم ١٦ رجب ومكث في المدينة المقدســـة ينهـــل من علوم ومعارف حوزاتها وعلماءها الكبار بنهم وشغف وقوة وجلد وبروح منفتحة على اغتراف العلوم لمدة عشـــرين عاماً إذ غادرها في شعبان (١٣٣٨هـ) عائداً الى بـــلاده ومنه هناك الـــى مدينته قوجان التي أقام فيها بقية حياته لمدة خمســـة وعشـــرون عاماً تزعم حوزتها العلمية وأدارها بالإضافـــة الى ارتباطه بالناس وخدمتهم والدفاع عن المدينة بوجه ما كانت تتعرض له من هجمات مســـلحة. وفي ليـــة الجمعة ٢٦ من ربيـــع الثاني لعام (١٣٦٣هـــ) فقدت قوجـــان ابنها وعالمها عن عمر ناهز الثامنة والستين عاماً ولكرامة السيد القوجاني ومكانته العالية وحب الناس له تحول مدفنه الى مزار لأهل المدينة والمحبين له.

وللقوجاني مجموعة من المؤلفات لعل أكثرها شهرة وبروزاً كتابه (سياحة في الغرب) بالإضافة الى كتاب شـــرح دعاء الصباح وكتاب شرح كفاية الأصول للآخوند محمد كاظم الخرساني ولكن كتابه (سياحة في الشـــرق) جاء كتحفة أدبيـــة وذوقية راقية في مجـــال الكتابة التاريخيـــة والتوثيقيـــة فهـــذا الكتـــاب بالإضافة الى أهميته العلمية والتوثيقية كما أشـــرنا يعد قطعة نثرية تمتلك من الجاذبية وشد القارئ إليها بصورة كبيرة بلغة ســـهلة فيها من الإمتـــاع والعبارات الجميلـــة ودقة الملاحظة والانســـجام الروحي الواضح للســـيد القوجاني مع ما كتـــب ودون كل هـــذا يعطي الكتاب أهمية أدبية فريـــدة قد لا يماثلها كتاب آخـــر مـــن كتـــب الســـير والمذكرات المكتوبة بأقلام علماء الدين على وجه الخصوص نظراً لاهتمام هؤلاء العلماء بالنواحي العقليـــة والمصطلحات دون الاهتمام بالجانب الفني.

وعلى العموم فإن الســـيد القوجاني فـــي كتابه هـــذا يقـــدم مجموعـــة من الألـــواح التســـجيلية عن تاريـــخ مدينة النجف الأشـــرف ومجتمعها ومدارسها وعاداتها وتقاليدها فهو يدخل المدينة مبهـــوراً بســـمعتها ورصانـــة منهجهـــا العلمـــي وقدســـيتها وتفـــوق علماءها ومدارســـها والقوجانـــي يقـــدم وصفاً لعمـــران المدينة وبناءها غير المتوافق مـــع مكانتهـــا وســـمعتها وينطلـــق في رحلـــة ذاتية ـ موضوعيـــة عابراً أزقتها وشـــوارعها وحياتهـــا بوصـــف رائـــع ودقيق لكـــن المادة الأكثر ثـــراءً كانت عـــن الحياة الحوزويـــة لطلبة المدارس الدينية في النجف وظروفهم المعيشية وعلاقاتهـــم مـــع بعضهـــم البعض في العيش المشـــترك داخل هذه المدارس المخصصة للغرباء من الطلبة القادمين

من المناطق البعيدة وفي هذه الحالة يسترسل القوجاني بعفوية وبروح شفافة في وصف الاختلافات التي تقع بين هؤلاء الطلبة ولاسيما أنهم من جنسيات وأقوام متنوعة قدموا الى المدينة لهدف الدراسة والتعليم والقارئ يسترسل مع القوجاني بمتعة خالصة ليجد إن كل الصعوبات تذلل وتهون المتاعب أمام تلك الإرادات القوية والرغبات الصارمة التي يمتلكها الطلبة بغية الاستمرار في الدراسة والتعلم بلا توقف وبنفس عال واندفاع شديد على الرغم من قلة الزاد وضعف الحالة المعاشية.

والحقيقة إن ما دونه السيد القوجاني عن المدارس في النجف يشكل مصدراً ذا قيمة عن طبيعة هذه المدارس في النجف يشكل مصدراً ذا قيمة عن طبيعة هذه المدارس وأساليب العيش فيها وقبل ذلك لابد من الإشارة في هذا السياق الى الرحلة الطويلة التي كان يقطعها طالب العلوم الدينية للوصول الى النجف الأشرف ومعاناة الطريق بوسائط النقل البطيئة.

والقوجاني سجل وصفاً لرحلته الطويلة من مدينته الى النجف في أجواء من المناكدات والنكات الظريفة والاسترسال العفوي والانشراح حيث يمكن للقارئ أن يجد وبمواقع مختلفة المواقف الساخرة المليئة بروح الدعابة التي تمتع بها القوجاني وهي روح استمرت في كل صفحات الكتاب تقريباً وهذا ما يجعل منه أكثر تشويقاً فهناك الكثير من الصور التي تدعو الى التوقف عندها لما تثيره من مشاعر حنين الى الماضي الخاص بالمدينة المقدسة ومع هذا كله نرى ذلك التهجد والحياة الترويحية التي يعيشها القوجاني في الصلوات والزيارات وقراءة الأدعية والمشاركة في المناسبات الدينية وهناك وصف رائع لأجواء هذه المناسبات واستطراداً من الكاتب في سياحته فهو لا يذكر شاردة أو واردة مر بها إلا وذكرها من التفاصيل والحوارات مع طلبة الحوزة العلمية الى الأمراض والأوبئة التي اجتاحت المدينة والرعب الذي أصاب السكان وهلعهم إذ ازداد عدد المتوفين وفي هذا الباب يقدم القوجاني وصفاً لعدد الأموات وكيفية نصب الخيام في المدينة لغسل الموتى ومع ذلك كله وفي هذه الأجواء يصف القوجاني النجف الأشرف عند دخوله إليها قائلاً: (يا إلهي إن اصفهان على عظمتها وبساتينها ومياهها الجارية أو كربلاء لم تنل أي منهما لدى كبار الشخصيات هذه الشهرة والصيت اللذين لهذه المدينة التي تبدو كالقرية الصغيرة. كيف طبقت شهرتها الآفاق حتى إن كل مجتهدينا يفخرون بأنهم قد ذهبوا إليها ويتحدثون عنها بحلاوة ولا يشبعون من لذة الحديث وحتى حديثهم عن المصائب والجوع هناك وهي أمور ينبغي الحديث عنها بمرارة ينقلونه بسرور وحبور وكأنهم يتناولون الحلوى). بهذه الروعة وحلاوة الكلام ورقة المشاعر يتحدث القوجاني عن النجف مركز الحوزة العلمية ومقر المرجعية الدينية العليا وهو يؤكد إن الدراسة في النجف لها شأنها ورصانتها

وخريج النجف يختلف اختلافاً كبيراً عن خريج سواها.

فلمدرسة النجف تقاليدها وأصالتها التي تتفوق فيها عن كل المدارس الأخرى لأنها المدرسة الأم وحسب القوجاني في سياحته فإنه لم يعد قادراً على ترك النجف الى أي مكان آخر فقد عشقها عشقاً عظيماً فلا يكاد يخرج منها الى المناطق المجاورة حتى يعود مشتاقاً وبلهفة عالية فهو قد أحب النجف وأهلها الذين أقام معهم الصداقات والصلات الاجتماعية والحقيقة أن القارئ يتلمس في هذا الكتاب نقلاً صادقاً عن معاناة طلبة الحوزة العلمية في النجف وإصرارهم على الاستمرار والتزود في العلوم والمعارف رغم كل المصاعب وهذا ما أدام قوة هذه المدرسة وأبقى ألقها مرتفعاً شامخاً كامتداد حقيقي لمدرسة آل البيت عليهم السلام وهذا من الأسرار التي أعطت المدرسة النجفية هيبتها ومكانتها وجعلها قطباً عالمياً تهوى إليها القلوب وتنجذب الى مقامها الأرواح.

وفي صفحات هذا الكتاب نجد ما يؤكد على هذه الحقيقة ويشير إليها بصدق، وليس هذا فحسب بل هناك تأكيد على زعامتها وتأثيرها حيث ينقل القوجاني الدور الكبير لعلماء الدين في حركة المشروطة (الحركة الدستورية) ١٩٠٦ والنقاشات التي شهدتها المدينة لينطلق تأثيرها الى الأماكن البعيدة في بلاد فارس والدولة العثمانية وما دونه القوجاني في ما يتعلق بهذا الموضوع له أهميته التاريخية والتوثيقية بوصفه من المعاصرين لهذا الحدث والمنتمين لإحدى الجماعتين إذ كان من أنصار الشيخ محمد كاظم الآخوند الخراساني ومواقفه المؤيدة للحكم الدستوري فالكاتب يوضح أجواء الصراع الدائر بين الفريقين والحجج التي يقدمها كل طرف بالإضافة الى شدة الإيذاء الذي لحق بأنصار الدستور من خصومهم، لكن الحدث الآخر الذي تناوله القوجاني في سياحة في الشرق انتفاضة النجف (١٩١٨م) ضد الاحتلال البريطاني فكان تركيزه ينصب أكثر على الحالة الإنسانية التي عاشتها المدينة أثناء فترة الحصار الرهيب المضروب حوله من قبل القوات البريطانية وما أصاب الناس داخل سور النجف من مجاعات وأوضاع قاسية وصعبة وخطيرة بالإضافة الى الرعب والخوف الشديد من القصف المتواصل على المدينة وهناك لمحات تجاوزها من كتب عن هذه الحادثة الكبيرة ونعني هنا العلاقات الإنسانية الاجتماعية السائدة داخل أسوار النجف وهي تواجه الحصار الشديد فقد سادت روح التضامن والتوحد بين سكان المدينة بغية الخلاص من هذا الشر المستطير فقد شح كل شيء الماء والطعام وانتشرت الأمراض وخاصة بين الأطفال وتناخى الجميع في خدمة الجميع وكانت حال الفقراء والأغنياء قد تساوت وشعر الكل بضرورة الصبر ومواجهة الكارثة بالتكاتف والتعاون والحقيقة التي نشير إليها في الموضوع تناول القوجاني لانتفاضة النجف ذلك السرد الجميل والإحساس الكبير بمحنة المدينة فالمؤلف شكل في جزء من كتابه لوحة إنسانية غاية في دقة التصوير

ونقل المعاناة والذي كان واحداً من الذين عايشوها وقد كتب ذلك بأسلوب جزل وبمعرفة عميقة وبواقعية بعيداً عن المبالغات والإطارات غير المبررة وكانت صورة النجف أثناء الحصار الذي دام أربعين يوماً مفزعة وخطيرة دونها لنا القوجاني بروعة قلمه وبالإضافة الى ذلك فهناك العديد من الأحداث والقضايا المذكورة في سياحة في الشرق.

وربما تكمن أهمية الكتاب في معالجته لموضوعين أساسيين ومهمين الأول تناوله بإسهاب الأوضاع الاجتماعية وعادات المدينة وتقاليدها مضافة إليها الأوضاع في مدينة كربلاء وقوة النشاط الاقتصادي في النجف، والثاني دراسته وتدوينه للظروف الحياتية لطلبة الحوزة العلمية في النجف وانكبابهم على الدرس والبحث وقوة إرادتهم على الرغم من كل الصعوبات التي يواجهونها، ففي موضوع الأوضاع الاجتماعية يقدم القوجاني استعراضاً أغفل عنه الكثير ممن كتبوا عن مجتمع النجف وفي الثاني هناك براعة في الوصف.

وعلى العموم فإن القارئ وهو يطالع هذا الكتاب يجد نفسه أمام أحداث وعوالم جميلة إذ ينتقل مع الكاتب بانسيابية في أجواء المكان والزمان وتكاد تمتلكه الدهشة من قوة الملاحظة وسير الذكريات الجميلة فكل شيء يظهره الكاتب بعلانية وخاصة فيما يتعلق بحواراته الحادة مع الآخرين والروح المنفتحة المرحة التي تظهر من بين سطور صفحات الكتاب لذا فهو جدير بالقراءة ففيه متعة المطالعة وفائدتها ولاسيما أنه كتب بقلم عالم جليل تناول فيه الأوضاع الاجتماعية في النجف لأنه كتب عن سنوات حياته التي قضى منها عشرون عاماً في الدرس والتحصيل في حوزة هذه المدينة المقدسة وحتماً إن في هذا الكتاب مصادر للدراسة ومعيناً للحصول على المعلومات ■

أجوبة مسابقة العددين (٣٥-٣٦) وأسماء الفائزين

السؤال الأول: ب. الخليل الفراهيدي

السؤال الثاني: ج. شعيب بن صالح

السؤال الثالث: أ. عند مقتل عمار يوم صفين

السؤال الرابع: أ. الإمامة وأهل البيت عليهم السلام

السؤال الخامس: ج. الرماحية

السؤال السادس: ب. هكذا تصنع المواعظ بأهلها

السؤال السابع: ب. حبرون

السؤال الثامن: ج. لا أحد

السؤال التاسع: أ. يوم عروبة

الفائز بالجائزة الأولى: خضر عباس عبد الكاظم/ كربلاء ـ طويريج.

الفائز بالجائزة الثانية: محمد صادق/ النجف الأشرف ـ حي الميلاد.

الفائز بالجائزة الثالثة: باسم عبد الرزاق حمود/ النجف الأشرف ـ الكوفة.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد

مسابقة العدد (٣٨)

١ كان حضور الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في بدر مشهوداً، فقد بالغ في جهاد أعداء الإسلام ونصرة رسول الله صلى الله عليه وآله. فكم كان عمره عليه السلام في تلك الواقعة؟

أ ـ عشرون سنة　　ب ـ خمس وعشرون سنة

ج ـ ثلاثون سنة

٢ من أخبار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن الإمام الحجة عليه السلام أنه قال: «**كأني به وقد عبر وادي السلام على فرس محجل له شمراخ يزهر**». فإلى أين حدد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قصد الحجة عليه السلام؟

أ ـ مسجد الكوفة　　ب ـ مسيل السهلة

ج ـ طف كربلاء

٣ قال الإمام الصادق عليه السلام: «**علمنا غابر ومزبور وكتاب مسطور ونكت في القلوب ونقر في الأسماع**». فما معنى (مزبور)؟

أ ـ العلم المبثوث في القرون الماضية

ب ـ العلم المكتوب في الكتب السماوية

ج ـ العلم المرقوم في اللوح المحفوظ

٤ **يا أسفي على المولى التقيّ　　أبي الأطهار حيدرة الزكيّ**

قتيلاً قد غدا بحسام نغل　　لعين فاسق رجس شقيّ

أبيات قالها أحد أصحاب الإمام علي عليه السلام عندما رآه وهو يودع عياله في ٢١ رمضان. فمن القائل؟

أ ـ الأصبغ بن نباتة　　ب ـ حجر بن عدي

ج ـ رشيد الهجري

كوبون المسابقة

ينابيع ٣٨

جواب السؤال الأول

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال الثاني

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال الثالث

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال الرابع

أ	
ب	
ج	

الاسم الثلاثي: .....

العنوان: .....

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار. الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ذ‌حج/١٤٣١هـ.

جواب السؤال السابع

أ	ب	ج

جواب السؤال السادس

أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع

أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس

أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن

أ	ب	ج

٥ يوم المؤاخاة يوم آخى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار على أن يواسي الأنصاري أخاه المهاجر في كل ما يملكه. ففي أي يوم كان ذلك الحدث؟

أ ـ ١١ رمضان ب ـ ١٨ رمضان ج ـ ٢١ رمضان

٦ **«لا يتخلف عنك إلا ظنين ولا يتربص لك إلا منافق»**. كلمات قالها رجل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام عندما أراد عليه السلام أن يتوجه إلى واقعة صفين. فمن القائل؟

أ ـ عقبة بن عمرو الأنصاري

ب ـ معقل بن قيس الرياحي

ج ـ عدي بن حاتم الطائي

٧ **رُدّت عليه الشمس لما فاته**

وقت العشاء وقد هوت للمغرب

من قصيدة للسيد الحميري يذكر فيها فضيلة ردّ الشمس التي خصّ بها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. فكم مرة ردّت الشمس له؟

أ ـ مرة واحدة ب ـ مرتان ج ـ ٣ مرات

٨ دعى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه طالباً حفظ علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: **«رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين»**. ففي أي موقف كان ذلك؟

أ ـ يوم واقعة الأحزاب ب ـ يوم فتح مكة

ج ـ يوم الغدير

٩ معاني الأبحر السبعة في القرآن هي: عين الكبريت، عين اليمن، عين البرهوت، عين الطبرية، وجمة ماسيدان، وجمة أفريقية، وعين باهوران، فما هي كلماته؟

أ ـ عجائبه في خلقه ب ـ كتبه المنزلة

ج ـ الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام